

لجنة التربية

ندوة
تكريم رواد التربية

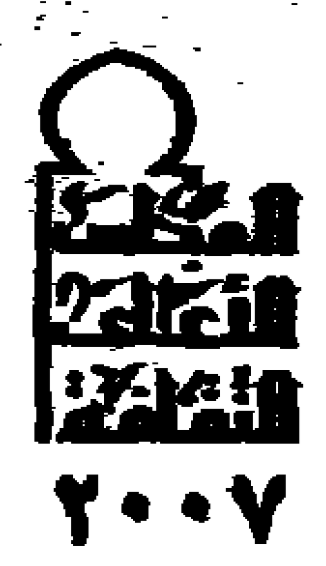
مقرر الندوة

محمد أمين المفتى

المجلس الأعلى للثقافة
لجنة التربية

ندوة
تكريم رواد التربية
نوفمبر ٢٠٠٦ م

مقرر الندوة
محمد أمين المفتى



٢٠٠٧

المجلس الأعلى للثقافة
لجنة التربية

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

المفتى ، محمد أمين .
- ندوة تكريم رواد التربية نوفمبر (٢٠٠٦ - القاهرة) .
مقرر الندوة محمد أمين المفتى - ط ١ . - القاهرة :
المجلس الأعلى للثقافة ، لجنة التربية ، ٢٠٠٨ ،
١٦٤ ص ، ١٧ × ٢٤ سم
١ - التربويون - ندوات
(أ) العنوان .

٩٢٣,٧٠٦٣

رقم الإيداع : ٢٠٠٨/٧٧٤٩
الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977-437-689-7
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٢٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٢٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo
Tel. : 27352396 Fax : 27358084

المشاركون

كلمة مقرر الندوة

محمد أمين المفتي

يسعدنى ويشرفنى أن نلتقى اليوم بحضراتكم فى يوم الوفاء لنكرم رواد التربية وعلم النفس لعطائهم المستمر على المستوى القومى والإقليمى والعالمى .

إن الولاء لأرض مصر التى أنبتت هؤلاء الرواد ، والحفاظ على قيم الأصالة والوفاء ، والبِرَّ بالآباء فى العلم ، والإيمان بأن الثروة البشرية أغلى وأبقى من أى ثروات أخرى ، وأن العلماء هم ورثة الأنبياء ... كل هذا كان وراء قرار لجنة التربية وعلم النفس عام ١٩٩٤ بعقد ندوة علمية لتكريم الرواد الأوائل فى مجالَى التربية وعلم النفس .

وتمسُّكًا بهذا التقليد الذى نعتز به والذى يتجسد فيه الوفاء لمن أعطوا وكرسوا حياتهم لخدمة العلم وطلابه وتأكيداً لهذه القيم السامية ، نجتمع اليوم تعبيراً عن التقدير والاعتراف بالفضل لأساتذتنا رواد التربية وعلم النفس الذين يمتد عطاؤهم لأكثر من نصف قرن فى مجال التعليم والقيادة والثقافة لأن هؤلاء الرواد قد تميز فكرهم وتجسد فى مدارس فكرية خرَّجت وتخرِّج الأجيال فى مصر والوطن العربى .

وإذا كان من واجب الرواد الأوائل أن يعلِّموا أبناءهم ، فإن من واجب الأبناء أن يكرموا أساتذتهم .

السادة الحضور :

تتشرف لجنة التربية بالمجلس الأعلى للثقافة بأن تكرم اليوم فى الجلسة الأولى لهذه الندوة الأستاذ الدكتور عبد السلام عبد الغفار والأستاذ الدكتور سيد خير الله فى مجال علم النفس ، وتكرم فى الجلسة الثانية الأستاذ الدكتور حامد عمار والأستاذ الدكتور صلاح قطب فى مجال التربية .

كلمة رئيس اللجنة

أ. د عبد السلام عبد الغفار

السادة الحضور الكرام

السادة المكرّمون

يسعدني في هذه المناسبة الطيبة أن أرحب بكم مكرِّمين ومكرَّمين في رحاب المجلس الأعلى للثقافة الذي يحتضن النخب الثقافية ومبدعيها في مصرنا الكريمة . يوم من الكرم، ومن مكارم الأخلاق أن نكرم رمزًا عظيمًا من رموز الريادة التربوية وحركة التعليم في مصر وفي عالمنا العربي . إننا أمام مسيرة التربية كما تجسدها سيرة روادها وعلمائها ممن قدموا بالفكر والعمل ، وبالبحث والتطبيق إسهامات متميزة نقف أمامها اليوم بكل التقدير ، وبكل معاني الوفاء والعرفان بالفضل ... وإننا بهذه المعاني لنجسد قيمًا عظيمة نقدمها للأجيال المختلفة من قادة التربية كي تواصل المسيرة في تواصل خلاق مع ماضٍ عظيم يتفاعل مع حاضر يرنو إلى مستقبل واعد، ولنستنبط من كل ذلك معاني الاستمرار والصيرورة ، وفي الجيل كي يحمل مشعل التربية – ثقافة وعقلا وتنمية شاملة ومستدامة – وفي تقدم التعليم القادم على التعلم ، وبأعمدته الراسخة كتعلم للمعرفة ، وتعلم للمشاركة، جيل يحمل المسئولية إزاء نهضة تربوية نتطلع جميعًا إليها .

ونحن نضع نصب أعيننا طموحاتنا وتطلعاتنا والتحديات التي تفرضها علينا متطلبات العصر من العالمية والعولمة والكوكبتية ، ومن متطلبات سوق العمل ، وتعزيز هذه المتطلبات بالقيم والأخلاقيات التي تعكس جوهر ثقافتنا وأسلوب حياتنا الذي نتميز به في هوية حضارية فريدة وشخصية وطنية متميزة. إننا بذلك نتطلع ، ومن الجيل الجديد وباستلهام من الأجيال السابقة وروادها الأوائل ، نتطلع إلى تعليم قادر ومقتدر بالمستحدثات العالمية وبالمعايير الدولية وجودة العمل والأداء ، وفي صيغة مبدعة تعكس هويتنا الحضارية .

إن الأمل كبير والطموح عظيم إزاء حركة الزمان ما بين ماضٍ وحاضرٍ ومستقبل في حيوية وانسياب مبدعَين ، بلا انقطاع أو توقف أو انفصام بل تكامل وتفاعل ، وفي انتظام للحركة المأمولة والمتوقعة نحو مستقبلنا الواعد بإذن الله تعالى .

السادة الحضور :

إننا في هذا الملتقى الثقافي ومن خلال لجنة التربية بالمجلس الأعلى للثقافة لنجد أنفسنا أمام قيم ورموز لشخصيات تربوية متميزة نقف لها أجلالاً وتقديراً لما حققوه وقدموه لحركة التربية في مصر وفي عالمنا العربي، فهي شخصيات تمثل ركنا أصيلاً ومتينا من تاريخ هذه الحركة وتاريخ مسيرتها .

ولأبدأ بالأستاذ الدكتور يوسف صلاح الدين قطب أستاذ المناهج وطرق تدريس العلوم وعميد كلية التربية بجامعة عين شمس ورئيس (مدير) جامعة عين شمس . لقد تحمل سيادته مسئولية التربية وإعداد المعلمين لفترة طويلة تتجاوز نصف القرن من الزمان، وتحديداً في النصف الثاني من القرن العشرين .

ويتميز عطاء الدكتور يوسف قطب بالاهتمام بتطوير العلوم مناهج وتدريسًا ونشاطًا ، وبالتفكير العلمي وتجسيده في إعداد المعلم ليواصل هذا العطاء في دوره الرائد والمتميز في «مركز تطوير العلوم» بجامعة عين شمس والذي لا يزال يحمل الرسالة التي كان يسعى الدكتور قطب إلى تحقيقها واقعًا في علمية التربية وتربية العلم .

وإذا تكلمنا عن عالمية التربية في مصر فإننا نقف أمام الأستاذ الدكتور حامد عمار أستاذ التربية والمفكر التربوي المبدع الذي تجاوزت إسهاماته ، ومنذ بواكير بزوغ عبقريته - من سلوا - حدود المحلية والعربية لتنتقل إلى مستوى العالمية، وهذا ما تنطق به وتشهد به كل إسهاماته وفكره المتجدد كالنهر العذب الذي يمدنا في كل يوم

وفي كل لحظة بكل ما هو حي وحيوى ومتجدد من عطائه وإبداعه، وما أكثره وما أعظمه !!

وتتواصل هذه الرموز من العالمية إلى الإبداعية فيما قدمه الأستاذ الدكتور سيد خير الله أستاذ علم النفس وعميد كلية التربية ونائب رئيس جامعة المنصورة ، وتواصله هو وتلاميذه فى دراسة متميزة عن سيكولوجية الإبداع والآفاق التربوية لتنمية الإبداع لدى المتعلمين ، وفى إعداد المعلمين .

إن التأريخ لحركة البحث العلمى فى الإبداع وتنميته يُفرِد مكانة ومكانا متميزَين لعطاء وجهود الدكتور سيد خير الله ، سواء فى مصر أو فى الدول العربية ، فى البحث فى الأبعاد والمتغيرات السيكولوجية والتربوية، وفى الإبداع وفى تنميته بالبرامج الإثرائية والتربوية والإرشادية ، وفى قياس وتقويم الإبداع والسلوك والإبداع والإنتاج الإبداعى . ولا شك أن هذه الإسهامات المتميزة قد هيأت تربة علمية خصبة فى ميدان تربية الإبداع وتنميته يواصلها تلاميذه ومريدوه، وفى هذا المقام ، يسعدنى أن أكون مشاركًا معكم فى هذه الاحتفالية التربوية الثقافية مكرِمًا ومكرَّمًا ، وفى اعتزاز وتقدير لكل ماتحمله هذه المناسبة من معانى الوفاء والعرفان .

فى تكريم الأستاذ الدكتور عبد السلام عبد الغفار

عادل عز الدين الأشول(*)

فى تكريم الأستاذ الدكتور عبد السلام عبد الغفار

الاســــم: الأستاذ الدكتور/ عبد السلام عبد القادر عبد الغفار

تاريخ الميلاد: ١٩٣٢/٢/٣ سمنود - غربية .

الوظيفة الحالية : أستاذ متفرغ بكلية التربية - جامعة عين شمس

المؤهلات والدرجات العلمية:

- بكالوريوس العلوم - كلية العلوم بجامعة القاهرة .	١٩٥٢
- دبلوم عام فى التربية - كلية التربية - بجامعة عين شمس .	١٩٥٣
	١٩٥٦
- دبلوم خاص فى الصحة النفسية - كلية التربية بجامعة عين شمس .	
	١٩٥٩
- درجة الماجستير من كلية التربية جامعة عين شمس .	١٩٦٣
- درجة دكتوراه الفلسفة من جامعة دينفر بولاية كلورادو	١٩٨٤ - ١٩٨٥
بالولايات المتحدة الأمريكية .	١٩٨٥ - ١٩٨٩
	١٩٨٧
	٢٠٠٠
	٢٠٠١

*أستاذ الصحة النفسية بكلية التربية جامعة عين شمس.

الوظائف التى شغلها:

- مدرس بقسم الصحة النفسية بكلية التربية جامعة عين شمس.
- أستاذ مساعد بقسم الصحة النفسية بكلية التربية جامعة عين شمس.
- عميد كلية التربية جامعة عين شمس.
- وزير التربية والتعليم.
- رئيس جامعة عين شمس.

الأوسمة والجوائز الحائز عليها:

- وسام الجمهورية من الطبقة الأولى.
- جائزة جامعة عين شمس التقديرية.
- جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية.

العمل السياسى:

- عضو المكتب السياسى بالحزب الوطنى الديمقراطى.
- عضو مجلس الشورى.
- رئيس لجنة الثقافة والسياحة والإعلام بمجلس الشورى.

العضوية فى هيئات علمية:

- رئيس لجنة قطاع الدراسات التربوية وإعداد المعلم بالمجلس الأعلى للجامعات.

- رئيس اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين في مجال التربية وعلم النفس التربوى والصحة النفسية.
- رئيس شعبة التعليم العام بالمجالس القومية المتخصصة.
- عضو مجلس الأمناء باتحاد الإذاعة والتليفزيون ورئيس لجنة البرامج التعليمية.
- رابطة خريجي معاهد وكليات التربية.
- الجمعية المصرية للدراسات النفسية.
- رابطة المعالجين النفسيين.

تتعدد الأنشطة والإسهامات التى اضطلع بها الأستاذ الدكتور عبد السلام عبد الغفار قرابة خمسين عاماً خلال مسيرته فى العمل العلمى الأكاديمى والإدارى والسياسى والثقافى، فى تنوع وثراء وإبداع، تتفاعل فى سياقها خلفية علمية معرفية واسعة وعميقة فى ميادين العمل والتنفيذ والتطبيق، حيث يغنى كلاهما الآخر نظرا وتطبيقًا، معرفة وعملاً ... وفى قيادة وطنية واعية للتنمية فى المجالات النفسية والتربوية والثقافية وفى بناء الإنسان المصرى. وفيما يلى بعض من تلك المجالات نوجزه على النحو الآتى:

أولا: ريادة مدرسة علمية متميزة

أسس مدرسة علمية تميزت بمبادرات أكاديمية بحثية فى الإبداع وتنمية الإنسان المصرى وبخاصة لدى الناشئة فى سنوات التعليم المتنوعة، وتناولت هذه المبادرات تأليفًا، وبحثًا ، وتدريباً، وإعداداً للباحثين فى مجالات التعليم والصحة النفسية والابتكار والإنتاج الابتكارى والتفوق العقلى ومتضمناتها التربوية والثقافية، وكذلك البحث فى تنمية تلك الجوانب الخلاقة فى بناء الشخصية المصرية. وقد نتج عن هذه المدرسة العلمية الرائدة إثراء لمجالات البحث العلمى فى هذه الميادين بعديد من

الباحثين والعلماء ممن تتلمذوا على يديه وممن يحتلون الآن مواقع قيادية علمية فى عديد من الجامعات ومراكز البحوث المصرية والعربية.

ثانيا: تقديم نظرية فى الإنسان وصحته النفسية

توجيه البحوث النفسية والتربوية فى مصر والعالم العربى إلى آفاق جديدة من التنظير العلمى لميادين متميزة ، كما تتمثل فى:

(أ) تقديم إطار نظرى عن طبيعة الإنسان يمثل الخطوط الأساسية لنظرية جديدة فى علم النفس عن دوافع وشخصية الإنسان، نُشرت فى عام ١٩٧٣ تحت اسم (فى طبيعة الإنسان).

(ب) تقديم نظرية علمية تناول فيها الابتكار (الإبداع) كظاهرة مركبة ذات جوانب متعددة. وقد نُشرت تحت اسم (طبيعة الابتكار) فى الكتاب السنوى للجمعية المصرية للدراسات النفسية بالقاهرة عام ١٩٧٥ .

(ج) تقديم رؤية جديدة "للتفوق العقلى والابتكار" فى كتاب متميز يحمل نفس هذا العنوان نُشر عام ١٩٧٧، تتميز بالمدخل متعدد الجوانب لفهم الإبداع الإنسانى ونموه وتنميته، واختبار هذه الرؤية من واقع نتائج بحوث علمية اضطلع بها سيادته فى هذه الميادين، ويتضمن كتابه هذا نماذج من هذه البحوث.

ثالثا: تنشيط حركة البحث العلمى النفسى والتربوى

اضطلع بسلسلة من الدراسات والبحوث المنشورة فى مجالات التفوق العقلى والابتكار والقياس النفسى والصحة النفسية والتربية الخاصة، بلغت فى مجموعها ما يربو عن عشرين بحثًا، عدا البحوث التى أشرف عليها من خلال رسائل الماجستير والدكتوراه فى هذه المجالات.

رابعًا: إثراء المكتبة العربية بمؤلفات متميزة

أثرى المكتبة العربية بعديد من المؤلفات والكتب العلمية فى مجالات علم النفس العام، وعلم النفس الاجتماعى، والصحة النفسية، والتفوق العلمى والابتكارى، والتربية الخاصة ، وفلسفة علم النفس، وتحمل هذه المصادر العلمية فى طياتها أحدث التيارات العلمية، وما تنطوى عليه من متضمنات تطبيقية.

خامسًا: دعم حركة البحث العلمى بأدوات جديدة من الاختبارات والمقاييس

زود سيادته مجالات البحث النفسى والتربوى بعديد من أدوات قياس الشخصية والصحة النفسية والابتكار والميول. وقد لعبت هذه الاختبارات والمقاييس دوراً كبيراً فى تنشيط حركة البحث العلمى والنفسى والتربوى وفى توسيع آفاق البحث إلى قضايا ومشكلات هامة نفسية وتربوية واجتماعية.

سادسًا: الإشراف العلمى

أشرف على العديد من الرسائل العلمية لدرجتى الماجستير والدكتوراه فى التربية والصحة النفسية تربو على ثلاثين رسالة فى هذا الشأن، ويحتل أصحاب تلك الدرجات العلمية أماكن قيادية متميزة فى مصر والعالم العربى.

سابعًا: قيادة فرق بحثية فى مشروعات بحوث على المستوى القومى

قام بالإشراف على / والاشتراك فى/ عدد من البحوث التربوية ذات التوجه

العلمى والتطبيقى التى أجريت على مستوى قومى. وقد شاركت فيها فرق بحثية من أساتذة التربية بلغت فى عددها - على سبيل المثال - فى أحدث البحوث ١٣٥ فردا. وتعتبر هذه البحوث رائدة فى البحث التربوى سواء من حيث توجهها القومى أو من حيث عدد المشتركين فيها (بحوث جماعية). وتتناول هذه البحوث مشكلات التعليم فى مصر وتطويره، نذكر من هذه البحوث: معلم المرحلة الثانية (ونُشر عام ١٩٧٩)، وتقويم كفاءات التدريس لدى معلمى المدارس الابتدائية فى عام (١٩٨٢).

وبحث إساءة معاملة الطفل المصرى (١٩٩٠)، وقد مُوِّلت هذه البحوث من مصادر مصرية وأجنبية.

ثامنا: دعم العمل الإكلينيكى والإرشادى

أسهم سيادته بجهود متميزة فى دعم وتطوير العمل الإكلينيكى فى العيادة النفسية الملحقة بقسم الصحة النفسية بكلية التربية جامعة عين شمس (أنشئت فى عام ١٩٣٤ كأول عيادة نفسية تقود حركة الإرشاد والعلاج النفسى بالشرق الأوسط)، وكذلك بمركز الإرشاد والنفسى بجامعة عين منذ إنشائه عام (١٩٩١)، سواء بخبرته الأكاديمية والمهنية فى مجالات الإرشاد والعلاج النفسى، أو فى تقديم البرامج الإرشادية والعلاجية لحالات اضطرابات الشخصية وانحرافات السلوك، وكذلك الإسهام فى الدورات التدريبية بمركز الإرشاد النفسى فى تدريب الإخصائيين والمرشدين النفسيين لإعدادهم ككوادر للعمل فى مراكز الإرشاد والخدمة الاجتماعية والعيادات النفسية أو فى تقديم البرامج الإرشادية والعلاجية لحالات اضطرابات الشخصية.

تاسعًا: تنشيط حركة التربية الخاصة
لرعاية وتربية ذوى الاحتياجات الخاصة

وقد أسهم سيادته بدور رائد فى تنشيط حركة التربية الخاصة فى مصر والعالم العربى منذ الستينيات، وذلك من خلال ما قدمه من أدوات ومقاييس تشخيصية للأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة والتعرف عليهم وتوجيههم، ومن خلال ما قام به من بحوث ومؤلفات فى هذا الميدان. إضافة إلى إشرافه على عديد من رسائل الماجستير والدكتوراه فى ميادين التربية الخاصة وفى رعاية ذوى الاحتياجات الخاصة وتربيتهم وتأهيلهم.

عاشرًا: تعزيز كلية التربية بجامعة عين شمس
كنموذج لكليات التربية بمصر والعالم العربى

اضطلع بالعديد من الأعمال الإنشائية الرائدة إبان عمله عميداً لكلية التربية بجامعة عين شمس لثلاث فترات عمادة (منذ عام ١٩٧٧ حتى عام ١٩٨٤) ، منها:

١- إنشاء أول مجلة علمية مُحكَمة للتربية تحت اسم (مجلة كلية التربية جامعة عين شمس) فى عام ١٩٧٧، وهى تصدر منتظمة حتى الآن.

٢- قام بإعادة تجهيز وتحديث جميع معامل كلية التربية بجامعة عين شمس وتزويدها بالأجهزة العلمية الحديثة، والاستفادة فى هذا الشأن مما أمكن تدبيره من قروض كانت ممنوحة لوزارة التربية والتعليم.

٣- إنشاء مركز للحاسب الآلى بالكلية.

٤- التنمية المستدامة لأعضاء هيئة التدريس من خلال تنظيم برامج للزيارات العلمية وتبادل الخبرات البحثية والعملية لأعضاء هيئة التدريس بالكلية للدول الأجنبية، وبخاصة لإنجلترا وفرنسا وألمانيا وكندا والولايات المتحدة الأمريكية، بالإضافة إلى المنح العلمية لهذه الدول.

٥- أسهم فى إنشاء وتطوير مركز تطوير تدريس اللغة الإنجليزية وقام بإدارته على مدى سبع سنوات.

٦- أسهم فى إنشاء مركز الإرشاد النفسى بجامعة عين شمس ويعُتبر أول مركز فى مصر والشرق الأوسط فى الإرشاد النفسى، كما أسهم فى فاعليات هذا المركز سواء فى المؤتمرات الدولية أو الدورات العلمية التدريبية منذ إنشائه عام ١٩٩١م حتى الآن.

٧- إنشاء مركز تطوير التعليم الجامعى بجامعة عين شمس ، وأسهم فى العديد من مؤتمرات هذا المركز ودوراته التدريبية.

٨- إنشاء قسم اللغة الألمانية بكلية التربية وعقد عدد من الاتفاقيات مع جامعة أسن بألمانيا لتجهيز ودعم التدريس بهذا القسم الجديد.

٩- عقد عدد من الندوات والمؤتمرات العلمية العربية والدولية.

حادى عشر: (التعليم فى مصر : دعوة إلى حوار)

(تقرير عن تطوير التعليم ١٩٧٩)

اضطلع سيادته بريادة حركة علمية لإصلاح التعليم في مصر، من خلال التقرير الذى قدمه منذ عام ١٩٧٩ – عندما كان سيادته عميدا لكلية التربية بجامعة عين شمس – عن "التعليم فى مصر: دعوة إلى حوار" والذى تضمَّن القضايا والمشكلات الرئيسية لواقع التعليم فى مصر ولأسس وآفاق إصلاحه وتطويره. وقد كانت تلك الوثيقة القومية أساسا لتنظيم ندوات ومناقشات وورش عمل والقيام بدراسات تنشد تطوير التعليم فى مصر. وقد قامت جامعة عين شمس بطباعة هذا التقرير الذى قُدِّم إلى السيد رئيس الجمهورية السابق / محمد أنور السادات.

ثانى عشر: السياسة التعليمية فى مصر

(استراتيجية تطوير التعليم ١٩٨٤.١٩٨٥)

وقد تجسدت هذه الحركة العلمية الهادفة إلى تطوير التعليم فى مصر واستمرارا لريادته لهذا العمل القومى، تجسدت فى وثيقة السياسة التعليمية فى مصر (١٩٨٤/١٩٨٥ – من مطبوعات وزارة التربية والتعليم)، والتى حدد فيها سيادته عندما كان وزيرا للتربية والتعليم فى مصر واسترشادا بمستحدثات ونماذج التعليم العصرى ومواءمة مع واقعنا التعليمى.

ثالث عشر: ريادة مشروع قومى خلاق

كنموذج للتعليم عن بعد والجامعات المفتوحة

أسس سيادته – من خلال مبادرة وقيادة خلاقتين منذ عام ١٩٨٣ – المشروع القومى الخاص برفع كفاءات معلمى المرحلة الابتدائية وتأهيلهم جامعياً، وهو ما يتمثل فى مشروع "الجامعة المفتوحة" الذى يقوم على " نظام التعليم عن بعد". ولأهمية هذا المشروع ولقيمة ما حققه من نتائج إيجابية، صار التأهيل الجامعى لمعلمى المرحلة الابتدائية من خلال "الجامعة المفتوحة" و " نظام التعليم عن بعد" توجُّهًا تعليميا أساسيا على المستوى القومى فى معظم محافظات جمهورية مصر العربية ومَعْلَمًا رئيسياً من معالم تطوير التعليم فى الثمانينيات من القرن الماضى، ولقد أشاد بأهمية هذا المشروع العديد من المراكز البحثية المحلية والدولية، وعلى سبيل المثال مقال كُتب عن هذا المشروع فى كتاب أصدره مركز البحوث والتنمية الدولى الكندى بعنوان With our own hands يتضمن تقويما لهذا المشروع ولدور الدكتور عبد السلام عبد الغفار فيه.

رابع عشر: جهود دعم المنظومة التعليمية كوزير للتربية والتعليم

ولقد قدم سيادته في فترة عمله وزيرا التربية والتعليم (١٩٨٤ - ١٩٨٥) جهودا ونماذج عظيمة نابعة من خبرته الأكاديمية والمهنية والعلمية وكذلك من عمق حسه الوطني الصادق ، لتطوير التعليم في مصر. وهي تلك الجهود التي استثارت حركة البحث في تطوير التعليم وفي تمهيد السبيل لاستكمال المسيرة في هذا الشأن.

خامس عشر: تنشيط حركة البحث العلمي في الطفولة

إبَّان عامي (١٩٨٨/٨٧، ١٩٨٩/٨٨)، حينما أسندت إلى الدكتور عبد السلام عبد الغفار جامعة عين شمس مهمة الإشراف على مركز دراسات الطفولة - كمدير لهذا المركز - قاد سيادته حركة تنشيطية لهذا المركز تمثلت في عدد من مشروعات البحوث في الطفولة، كما تمثلت في ثلاثة مؤتمرات قومية: المؤتمر السنوي الأول للطفل المصري (مارس ١٩٨٨)، والمؤتمر السنوي الثاني للطفل المصري (مارس ١٩٨٩)، وكذلك رئاسته للمؤتمر السنوي الثالث للطفل المصري (مارس ١٩٩٠). وقد صدرت أعمال كل من هذه المؤتمرات الثلاثة في ثلاث مجلدات كبيرة، ويبلغ عدد الدراسات والبحوث المتضمنة في تلك المجلدات الستة ما يزيد على مائة وخمسين بحثا علميا تتناول ميادين الطفولة المختلفة، التربوية والنفسية والاجتماعية والثقافية والصحية، بالإضافة إلى ميدان الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة . كما صدر عن هذه المؤتمرات ثلاثة تقارير هي بمثابة وثائق عن واقع الطفولة في مصر وعن استراتيجيات وخطط التنمية الشاملة للطفل المصري.

سادس عشر: أدوار قيادية رائدة

يضطلع بعدد من الأعمال والأدوار القيادية من خلال عضويته في بعض الهيئات والمراكز العلمية:

أ - فهو عضو بالمجلس القومي للتعليم (بالاسم) منذ عام ١٩٧٧ حتى الآن.

ب – ورئيس اللجنة العلمية الدائمة للتربية وعلم النفس للترقيات على مستوى الأساتذة. (١٩٨٢-٢٠٠٣).

ج – ورئيس لجنة القطاع للتربية.

د– ورئيس لجنة التربية بالمجلس الأعلى للثقافة.

سابع عشر: مكانة مرموقة على المستوى الدولي

يتمتع الدكتور عبد السلام عبد الغفار بمكانة علمية دولية مرموقة، فهو مستشار تحرير المجلة الأمريكية للعلاج الأسرى (American Journal of Family Therapy).

كما اختير سيادته ضمن ألف شخصية على مستوى العالم ونشر موجز عن تاريخ حياته فى كتاب (Men of Achievement) عام ١٩٨١، وقد ورد ذلك فى الصفحة الثامنة من هذا المجلد الذى يصدر فى إنجلترا والذى يماثل مجلد (Who is who) الذى يصدر فى أمريكا.

ثامن عشر: تواصلاً مع جهود تطوير التعليم فى وثيقة (تحديث التعليم فى مصر) (المجالس القومية المتخصصة)

تأسيساً على الجهود والإسهامات المتواصلة لدعم حركة التعليم فى مصر أسهم سيادته، من خلال رئاسته للمجلس القومى للتعليم، فى بلورة استراتيجية وطنية لتحديث التعليم فى مصر تستلهم واقعنا الحضارى، وتتواصل مع كل الجهود التى بُذلت من خلال مسيرة تطوير التعليم فى مصر بالقرن الماضى، ومتطلعة إلى الاستفادة من التطورات العالمية المعاصرة فى تقدم التعليم والارتقاء به كمنظومة متكاملة الأركان وتوظيف هذه المستحدثات فى التنمية التربوية بمراحل التعليم المختلفة

تاسع عشر: نقلة من العمل الإبداعى الوطنى
فى دعم ركائز التنمية الحضارية فى مصر
(الثقافة والسياحة والإعلام)

إن الأستاذ الدكتور عبد السلام عبد الغفار – من خلال رصيده الفنى من العمل الأكاديمى ذى التوجه التطبيقى فى توظيف الخبرة العلمية والبحثية فى خدمة التنمية فى مجتمعنا المصرى، وتفاعل هذه الذخيرة من الثراء العلمي والعملى مع الحس الوطنى والعمل السياسى – قدم ولا يزال يقدم، من خلال مواقع المسئولية السياسية التى اضطلع ويضطلع بها، جهوداً وإسهامات ملحوظة، فى تدفق وعطاء وإبداع، فى دعم أعمدة أو ركائز التنمية الحضارية فى مصر وذلك من خلال رئاسته للجنة الثقافة والسياحة والإعلام بمجلس الشورى، حيث قدم عدداً من التقارير الموجَّهة إلى التنمية الثقافية والحضارية لتعزيز هذه الأركان الثلاثة من وجودنا الحضارى الخلاق، وهى الثقافة والسياحة والإعلام. وقد جاءت هذه التقارير نابعة من الحوار الديمقراطى وتبادل الفكر والرأى والمشورة، حتى لقد صارت وثائق يهتدى بها فكراً وعملاً كاستراتيجيات وطنية فى التنمية الحضارية. ونعرض فيما يلى لبعض من هذه الوثائق الوطنية:

- **(الثقافة وتنمية القرية المصرية)**

تقدم هذه الوثيقة إطاراً شاملاً للتنمية الثقافية للقرية المصرية، باعتبارها عنصراً جوهريًا وشرطًا رئيسياً لنجاح الجوانب الأخرى المتعددة للعملية التنموية، متضمنة الجانب الاقتصادى والاجتماعى والسياسى. يركز التقرير على تحديد موقع التنمية الثقافية للقرية المصرية، على الخريطة الشاملة لعملية التنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى مصر.

كما ألقى هذا التقرير الضوء على المشكلة الثقافية فى قطاع أساسى وعزيز من المجتمع المصرى ، وهو القرية المصرية، وتقييم الدور الذى تلعبه قنوات التأثير الثقافى كافة فى المجتمع المصرى عمومًا، وفى الريف المصرى خصوصاً، واستكشاف الملامح التى يمكن الاهتداء بها لوضع استراتيجية مستقبلية للتنمية الثقافية فى القرية المصرية.

- **(حماية الآثار وكيفية استثمارها) :**

تنطلق هذه الوثيقة من حقيقة تؤكد أن شواهد ومعالم الماضى البعيد هى بالنسبة إلى الشعوب تاريخ ومسيرة ذاتية تحدد وترسم شخصيتها وهويتها، وتضع فى قائمة العطاء الإنسانى مكانها ومكانتها. ويفتخر المصريون ببلادهم باعتبار أنها أم الحضارة ومهد مدنية الإنسان على الأرض، وحيث تبرز القيمة الحقيقية للآثار المصرية، ليس فقط لأنها تعمق لدينا المفاهيم الخاصة بروعة التميز الحضارى لبلادنا فيما أبدعه الإنسان المصرى على مر العصور، ولكن لكونها أعظم دافع وباعث لأجيالنا على استمرار رسالة العمل والبناء فى إطار من الحب الصادق للوطن، وتأصيل الاعتزاز به تراثًا وترابًا، وذلك تحت رايات التواصل والاقتداء والانتماء. وقد انتظم هذا التقرير الوطنى فى ثلاثة محاور رئيسية وهى : الآثار المصرية تعريفها وأماكن وجودها ، وحماية الآثار المصرية، واستثمار الآثار المصرية، وصولاً إلى استراتيجية وطنية لحسن استثمار آثارنا.

- **(نحو رؤية مستقبلية للعمل الثقافى فى مصر) :**

وثيقة وطنية فائقة التميز فى رسم خريطة للعمل الثقافى فى مصر، متضمنة عدداً من المتغيرات الرئيسية موضع الاعتبار عند رسم هذه الخريطة من منظور مستقبلى، تشمل متغيرات العولمة والإرهاب والسلام والديمقراطية والتنمية الاقتصادية، وتحدد

مفاهيم الثقافة وتحلل الثقافة المصرية، وتعرض لخصائص الثقافة المصرية، ولقضايا الثقافة ووسائطها المتعلقة بتكنولوجيا المعلومات والتعليم والإعلام والبيئة والمسرح، وواقع العمل الثقافي في مصر في شموله لهيئات ومؤسسات رائدة وفي مقدمتها الهيئة المصرية العامة للكتاب ودار الكتاب والوثائق المصرية وأكاديمية الفنون وقصور الثقافة والمجلس الأعلى للثقافة وقطاعات المسرح والسينما والمتاحف. وفي ضوء هذه الخريطة، يقدم التقرير استراتيجية وطنية للعمل الثقافي في مصر، محدداً ملامحها وأهدافها، وآليات العمل وأساليب التنفيذ. والحق أن هذه الوثيقة التي لقيت تقديراً فائقاً على المستويات الرسمية والإعلامية كافةً، تقدم نموذجاً متميزاً في رسم السياسات الوطنية الرامية إلى جهود التنمية من منظور الزمان والمكان، ومن الماضي والحاضر، وفي تطلع إلى مستقبل واعد لهذا البلد الكريم.

تلك جهود وإسهامات تثرى بها سيرة ومسيرة الأستاذ الدكتور عبد السلام عبد الغفار، في عطاء موصول بلا حدود، وفي عمل وإبداع متواصلين ومتناميين، حققها من خلال المواقع المتعددة التي شغلها سيادته - عن كفاءة واقتدار وروح وطنية عالية - كأستاذ وعميد كلية ورئيس للجامعة، وكوزير للتربية والتعليم، وعضو مؤسسات وهيئات مرموقة ومؤثرة على المستويات العلمية والثقافية والاجتماعية كافة . ولا يسعنا إلا أن نقدم باقة ورد للأستاذ الدكتور عبد السلام عبد الغفار وفاءً وتكريماً لهذه المسيرة العلمية والثقافية والسياسية المبدعة والخلاقة. وفقه الله، وسدد على طريق الحق خطاه .

تحريراً في ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٦ .

فى طبيعة الإنسان

أو

فى فلسفة علم النفس

أ.د. إبراهيم عيد

الأستاذ الدكتور عبد السلام عبد الغفار يتميز بحس قومي متجدد ، وعطاء متواصل ، وقيمة فكرية ثرية فى محتواها وفى تجدد معانيها وفى إضافاتها الفكرية والعلمية المتميزة وفى رؤيتها المستقبلية التى تستبق الحاضر إلى المستقبل دوما .

كَمُنَتْ قيمته فى عطائه المتواصل بتواصل كل موقع قيادى كانت له فيه بصمات واضحة وجلية، ومنذ أن كان عميداً لكلية التربية لمرات ثلاث بالانتخاب ، ووزيراً للتربية والتعليم، ورئيساً لجامعة عين شمس ، وعضوا بمجلس الشورى ، ورئيسا للجنة الثقافة والسياحة والإعلام فى نفس المجلس لدورتين انتخابيتين ، قدم خلالهما مجموعة قيمة من التقارير حول الآثار والسياحة والإعلام والثقافة والانتماء إلى هوية مصرية حضارية ضاربة بجذورها فى عمق التاريخ .

كتبه حية نابضة ، أرهصت للكثير من الباحثين بتوجيهات فكرية وعلمية قيمة ، وكل كتاب من كتبه يمهد لتوجُّه فكرى يلتف حول معانيه الباحثون.

وتشكلت من بحوثه عن الابتكار مدرسة علمية رائدة فى مصر والعالم العربى لها أساتذة مرموقون فى عالم الفكر والثقافة وعلم النفس والتربية . أما كتابه "فى طبيعة الإنسان" فهو كتاب يفلسف فيه علم النفس ، أو يجعل من علم النفس فلسفة ، كتبه بحس نابض ، وبوعى متميز ، وبنظرة فوقية اتخذت من سعى الإنسان ومن تنظيمه العقلى الفريد ، ومن إرادة الوجود فى صلب تكوينه ، ومن عروجه صوب تحقيق إنسانيته ، اتخذت من كل هذا أساساً لفهم طبيعة الإنسان وطبيعة صراعاته ، تلك التى تتجاوز قهر الصراع الغرائزى ، وآلية النظرة السلوكية الجامدة ، بثنائيتها القطعية التى تختزل الإنسان وتهبط به إلى مجرد آلية سلوكية تستجيب لمثيرات الحياة ، موضحًا أن الصراع الوحيد الذى يعانيه الإنسان ويكابده هو صراع وجودى بين أن يكون الإنسان أو لا يكون .

لقد فطن عبد السلام عبد الغفار إلى طبيعة النمو المتواصل لطبيعة الإنسان، فتجاوز فى تنظيمه الدافعى مرحلة تحقيق الذات إلى مرحلة " الإنسان المتكامل "، وهى

ليست مرحلة عندها يتوقف النمو بقدر ما هى " بوصلة توجيه " توجُّه الإنسان إلى ما ينبغى أن يكون عليه .

والتنظيم الدافعى الذى يحدده عبد السلام عبد الغفار يقوم على تصور لطبيعة الإنسان وخصائصها، تلك التى تميزه عن غيره من المخلوقات وتساعده على اكتشاف معنى لحياته وهدف يلتزم به، وهذه الخصائص يمكن تلخيصها فيما يلى :

أولاً :

الإنسان مزود بتكوين عقلى أدى ما ترتب عليه من آثار إلى فصل الإنسان عن بقية المخلوقات ، فهو الكائن الوحيد الذى يدرك بُعد الزمن ، ويستطيع أن يخطط لحياته ، وأن يستخدم الرمز فى تسجيل وتطوير ثقافته . وللإنسان القدرة على التجريد الذى يكمن وراء تطوره الثقافى ، وتتوَّج قدراته بالقدرة على الابتكار وتطوير نفسه وواقعه.

ثانياً :

الإنسان حر بطبيعته ، وحريته من أهم محددات إنسانيته ، وهى من أهم الصفات التى تميزه عن غيره من الكائنات الحية ، وهى حرية تقوم على إدراك طبيعة الحياة التى يحياها ودوره فيها . وللتكوين العقلى الذى زُوِّد به الإنسان دور رئيسى فى ممارسة الفرد لحريته ، إذ يدرك أن حريته حرية محدودة ، تحددها مواقف لا يستطيع فيها اختيارا ، غير أنه يستطيع أن يتخذ منها موقفا معينا . ويدرك الإنسان أن ممارسته لحريته يستتبعها مسئولية عما يختار من نشاط ، ولديه القدرة على تحمل مسئولية ما يقوم به من عمل .

ثالثا :

الإنسان مخلوق واعٍ ، مفكر ، متذكر ، ذو شخصية شمولية ، ومن ثم فهو ليس فريسة لصراع قوى غريزية قسرية وأخرى اجتماعية ضاغطة، وليس خاضعاً لآلية سلوكية تجعله أشبه ما يكون بشيء ، مجرد شيء ، ولهذا يقول عبد السلام عبد الغفار " إننا نرفض ما قُدِّم عن الإنسان من تصورات نظرية ، سواء تلك التى تنظر إليه كما لو كان كائنا عاجزا تدفعه قوى غريزية ، تحدد له سلوكه وما يختاره من نشاط ، أو تلك التى تنظر إليه نظرة آلية ، حيث يتحول الإنسان إلى آلة ، بل إلى شيء .... مجرد شيء ، والإنسان ليس بهذا الشيء" .

ويستطرد مبينا أن تصوراً مناسبا عن شخصية الإنسان لا يحدث إلا إذا أخذنا فى الاعتبار تلك الجوانب التى تحدد إنسانية الفرد ، مثل حريته وإرادته وقيمه وفلسفته وجوانبه الروحية .

رابعًا :

الإنسان يملك إرادة الوجود ، تلك التى يحددها عبد السلام عبد الغفار بشكل إجرائى بوصفها " القوة الدائمة الدفع والتوجيه والتنظيم لنشاط الفرد بغية تحقيق وجوده والوصول به إلى مستوى مناسب من الإنسانية المتكاملة" ، وتكمن إرادة الوجود – عنده – خلف دوافع الإنسان المختلفة ، وهى إرادة نمائية تختلف باختلاف مراحل العمر ، وتكمن خلف كل معنى وهدف فى حياة الإنسان ، وترتبط بإرادة أخرى هى إرادة العطاء التى تدفع الإنسان إلى العطاء لذاته ، وبتحقيقها يتلاشى شعور الإنسان بالاغتراب .

إن الإنسان عند عبد السلام عبد الغفار صيرورة نمائية تتجه صوب تحقيق الإنسانية المتكاملة ، وإن الصراع الذى يعانيه الإنسان ويكابده صراع وجودى ، بين

الوجود واللاوجود ، بين أن يكون الإنسان أولا يكون ، ويعبر عن هذا المعنى بقوله إن الصراع الذى يكابده الإنسان هو بين " الوجود الذى يكمن فى المعنى الذى يؤدى إلى استمرار الوجود ، واللاوجود حيث يتلاشى المعنى فى الحياة " .

وعلى هذا فإن اضطراب الإنسان عند عبد السلام عبد الغفار . يعنى فقدان المعنى ، ومن ثم انفصاله عن وجوده الإنسانى من حيث هو مخلوق نمائى ، متذكر وواعٍ ، يتميز بالعقل والحرية الملتزمة والشعور الهادف نحو قيم وغايات تثرى الحياة وتتيح لها أن تتقدم وأن تزدهر عبر الإمكانات الابتكارية التى تسمو بالإنسان فوق تكوينه العضوى ، والتزامه برسالة وهدف يناضل فى سبيلهما ، وهو يلتزم أو يلزم نفسه طواعية واختيارا ، فهو حر فى اختياره ، يستطيع أن يتغلب على اغترابه ، ويستطيع أن يجد نفسه وأن يعيش وجوده وأن يحقق إنسانيته .

بهذين الكتابين : " الابتكار أو التفوق العقلى" و " فى طبيعة الإنسان" كان عبد السلام عبد الغفار على جناح واحد مع أصحاب المنحى الإنسانى فى علم النفس ، اللذين جاءت كتاباتهم مواكبة لما ساد العالم من دمار نفسى ومعنوى وقيمى بعد وفى أثناء الحرب العالمية الأولى والثانية ، اللتين فجرهما الإنسان فى أقل من ثلاثين عاماً ، ونتيجة لهما سادت العالم حالة من القلق العامٍّ الذى تَمَلَّك الإنسان ، فلقد كان لهاتين الحربين أثر بالغ فى إشعار الإنسانية بالمعانى الكبرى التى تؤلف نسيج وجودها ، حيث القلق الوجودى والذنب الأنطولوجى والمدخل الفنومنولوجى فى رؤية الوقائع والحرية التى هى جوهر وجود الإنسان والاختيار والمسئولية والالتزام وتجاوز الذات وتقبُّل العالم بما فيه من متناقضات ، والسعى للخلاص وتأصيل الحرية والقيمة والمعنى .

ولعل عبد السلام عبد الغفار أراد بكتاباته عن الابتكار وطبيعة الإنسان أن يضفى ومضات من التفاؤل بمستقبل أفضل للإنسان المصرى فى مسيرته التنموية مستنداً فى ذلك على بناء عَقَدِىٍّ متين ، وثقافة متنوعة وثرية ، وتراث حضارى مركَّب ، ورؤية مستقبلية متواصلة العطاء .

"سيد محمد خير الله"

العالم والإنسان

أ . د / رشدى أحمد طعيمة

من المصريين رجال شكَّلوا لوحة الخلود ، ووقفوا حياتهم على العطاء وأسهموا بجهودهم وجليل أعمالهم فى تطوير الحياة العلمية والتربوية والفكرية والثقافية على أرضنا الطيبة ، شخصيات عظيمة رائدة تعيد إلى الإنسان إيمانه الفطرى بتلك الخصال التى نشأنا عليها ، وعشنا من أجلها ، وما زالت تمثل رصيداً حيًا فى نفوسنا من قيم النبل والأصالة والعطاء والانتماء وصحوة الضمير ، والصدق مع النفس . وسيرة هؤلاء الأعلام الذاتية جزء لا يتجزأ من تاريخ مصر العريق على امتداده .

مثلا حيا للعبقرية المصرية الفكرية والثقافية والتربوية والتنموية . وها أنا ذا معكم أقف لأحيى شخصية عظيمة من هذه الشخصيات ، ورمزًا من أعز من عايشنا من الرموز ، فأجدنى أقف عاجزًا عن ترجمة الأحاسيس التى تنتابنى فى هذه اللحظة ، وأحتار كيف أصف عَلَمًا شاهقًا ، وكل الكلمات وكل العبارات أقصر من أن تفى بحقه ، فليس من الممكن أن نجد كلمات تعبر بصدق عن جوهر رجل طيب وعالم مفكر تربوى ، عاش حياة ذات أعماق ، ليس شخصا عاديا ، بل هو إنسان يتميز بقدرات هائلة ، وإيمان عميق ، ومعرفة واسعة ، وأفكار ثابتة للحياة ، أرسى المبادئ والتقاليد التى تجسد البساطة والحكمة ، وترعى الحياة كَهِبة مقدسة ، وتؤكد على التربية كطريق للبناء ، ومجال للعطاء ، كشرف يتحقق نتيجة للعمل المتواصل ، شجع التطوير والنماء والتقدم ، آمن إيمانًا قويا بالإنسان ، وبالعلم ، وبالتربية ، وبالتنمية ، وبالله .

كل ما أستطيع قوله أنه إنسان فى شدة البساطة والتواضع ، ورقة المشاعر وشفافية الروح ، يتمتع بالأمانة والنزاهة وصدق القول والفعل ، ملتزم بمبادئه لا يمكن لأى سبب فى الدنيا أن يدفعه للتخلى عن هذه المبادئ التى أحبها وعاش من أجلها .

وُلد أستاذنا فى القاهرة فى الخامس من أكتوبر سنة ١٩٣٠ ، وهو بذلك يناهز السبعين عاما فى هذا اليوم .

حصل على بكالوريوس التجارة تخصص إدارة الأعمال من جامعة القاهرة عام ١٩٥٣ ثم حصل على دبلومَى التربية (العامّ والخاصّ) من كلية التربية بجامعة عين شمس عام ٥٤ و١٩٥٦ ، ثم الماجستير فى علم النفس ١٩٥٩ من جامعة متشجان بأمريكا ، ثم دكتوراه الفلسفة فى علم النفس من الجامعة نفسها سنة ١٩٦٣ .

كما حصل على دبلوم الدراسات العليا من جامعة هاڤارد بأمريكا ١٩٧٠ ، وأنتم تعلمون ما هاڤارد ؟

الكل يحب المجد ويحلم به ، ولكن قليلون من الرجال هم الذين يختارون لأنفسهم سلوك طريقة ، والصبر على تبعاته ... أولئك هم القادرون على تحويل الحلم إلى واقع ، والخيال إلى حقيقة ، ومن هنا فإن حياة العظماء لا تقاس بالزمن الذين عاشوه ، ولا بالأيام التى قضوها ، إنما تقاس بالإنجازات التى صنعوها ، والأعمال التى حققوها ، والقيم التى ناضلوا من أجلها .

عمل سيادته مدرسا للرياضيات بمدرسة النقراشى النموذجية لمدة عامين (من ٥٤ – ٥٦) ، ثم عضواً فنيًا بمركز البحوث التربوية ، فخبيراً للتقويم والامتحانات بوزارة التربية والتعليم ، فأستاذا مساعداً بالمعهد القومى للإدارة العليا بالقاهرة من ٦٧ إلى ١٩٧١ ، فأستاذًا مساعداً بقسم علم النفس التربوى بكلية التربية بجامعة المنصورة من ٧١ إلى ١٩٧٤ ، ثم أستاذًا بالقسم نفسه سنة ١٩٧٤ ، فأستاذًا للتربية الخاصة بجامعة الخليج العربية بالبحرين .

رأس سيادته قسم علم النفس التربوى بكلية التربية بالمنصورة سنة ١٩٧١ ، ثم عمل وكيلا للكلية سنة ١٩٧٤ ، فعميداً لها على مدى اثنى عشر عامًا من ٧٦ إلى ١٩٨٨ ، إضافة إلى عمادته لكلية التربية بدمياط من ٧٧ إلى ١٩٨٠، ثم تولى عمادة كلية الآداب بجانب عمادته لكلية التربية سنة ١٩٨٣، فنائبًا لرئيس جامعة المنصورة لشئون الدراسات العليا والبحوث من ٨٨ إلى ١٩٩١ ، إلى أن بلغ مرحلة الشباب الثانى فى أغسطس سنة ١٩٩١ فصارا أستاذاً متفرغًا ، ولما بلغ مرحلة الشباب الثالث فى مارس سنة ١٩٩٩ صار أستاذاً غير متفرغ ، وما زال بفضل الله ذا عطاء مستمر .

أسهم يداً بيد مع الدكتور محمد لبيب النجيحى - رحمه الله - وبجهد غير مسبوق فى تكوين كلية التربية مبنى ومعنى ، إذ توسّعت فى عهده مبانيها ، وأنشئت مختبراتها ، وزادت إمكاناتها ، وأنفق فى سبيل إنشاء مكتبة جامعية متميزة الكثير من المال والوقت والجهد حتى صارت بلا فخر من أعظم مكتبات كليات التربية فى مصر كلها .

رأس سيادته لجنة قطاع العلوم التربوية والنفسية وكان مقرراً للجنة الدائمة للترقيات فى العلوم التربوية والنفسية .

وأصدر مع الدكتور النجيحى سلسلة الدراسات التربوية والنفسية شارك فيها بكتابين متميزين ، كما أصدرا معًا مجلة كلية التربية - جامعة المنصورة .

إن المناصب والتنمية والشهرة لا تأتى عفوا ، ولا تكون هبة ، إنها ليست إرثا نرثه ، ولكنها بناء شاهق نبنيه ، وصرح عظيم نشيده ، بالعرق الدائم ، والكفاح المتواصل ،

والعزيمة التى لا تعترف بالمستحيل ، لذلك فهى تأتى عن جدارة ، ولمن همَّته القمَّة والصدارة .

ولقد مرت عمادة عالمنا الجليل لكلية التربية ، ثم نيابته لرئيس الجامعة للدراسات العليا والبحوث كالشهاب الخاطف ، أوقد الشعلة فى داخلنا وغادرنا ليتوهج فى فضاء أرحب مدى ، وأغزر عطاء ، هناك فى الإمارات والبحرين وعلى امتداد العالم العربى كله ، رهانه رهان المستقبل الزاهر والتنمية الحقيقة والتطوير الحتمى ، رهان الأمة العظيمة ، والأجيال المبتكرة ، والحياة السعيدة ، والحرية الكاملة .

فى وقت واحد كان عميداً لكلِّيتَى التربية والآداب – جامعة المنصورة ، فأصبح ذا العمادتين لثقافتين متقابلتين لا يقدر على الجمع بينهما والنهوض بأعبائهما إلا عباقرة الرجال ، وفى هذا الحقل الخصب استطاع الرجل بحنكته واتساع معارفه وخبراته العلمية والإدارية أن يُنبِت زروعه ويرعى أعوادها حتى تؤتى ثمارها كما قدرتها آماله المرجوة . عقد صداقة قوية بين الكليتين والدارسين فيهما ، ووفَّق بين العمل فى الميدانين فتكاملت أبحاث قسم علم النفس فى كلية الآداب مع أبحاث قسم علم النفس فى كلية التربية .

جعل من منصبه كنائب لرئيس الجامعة للدراسات العليا والبحوث منارة البحث العلمى فى الجامعة على اختلاف تخصصاتها وتعدد برامجها . وضع خطة متميزة للبحث العلمى على مستوى الجامعة، وأصدر عدداً من الأدلة والمجلات المركزية، ومنها مجلة البيئة التى أشرف على إخراجها الدكتور أحمد أمين حمزة وكان وقتها مديراً

للمكتب الفنى للدكتور محمد عمارة رئيس الجامعة . واستطاع أستاذنا سيد خير الله أن يعقد عدداً من الاتفاقيات العلمية مع عدد من الجامعات العربية الأجنبية وكذلك تبادل الأساتذة والباحثين . كما وضع لائحة ميسَّرة لأعضاء هيئة التدريس لحضور المؤتمرات والندوات العربية والدولية مع دعم أدبى ومالى كبير ، مما أسهم فى أن يكون لجامعة المنصورة وجود ذو شأن فى المحافل العلمية وبين نظيراتها من جامعات عالمية .

ولعل عطاءه الكبير فى هذا المنصب كان دافعًا لكلمة ألقاها الدكتور محمد عمارة فى حفل توديعه للعمل عميداً لكلية التربية فى الإمارات ، إذ قال الدكتور محمد عمارة : سامحك الله يا دكتور سيد ؛ لقد أتعبتنى فى البحث عن خلف لك إذ يصعب على أى أستاذ أن يشغل فراغك .

نعم ، هذا هو سيد خير الله ، هو عميد العمداء ، إذ شغل منصب عميد لأربع كليات هى تربية المنصورة وتربية دمياط وآداب المنصورة وتربية الإمارات ، فكان فى كل منها نموذجًا للإدارى الناجح الذى يطبق بفهم عميق مبادئ إدارة الأعمال التى تخصص فيها ، وكما قال الدكتور عمارة يبنى صرحا يصعب على من بعده أن يضع لبنة فيه ، وأقول هذا لا عن مدح له ، أو تزيُّد فى الحديث أو ثناء يطلق بلا أساس ، وإنما عن تجربة شخصية لى معه .. إذ شاء القدر أن أخلفه فى منصبه عميداً لتربية دمياط وعميداً لتربية المنصورة وعميداً لتربية الإمارات فأحسست بصدق المقولة التى أُطلقت عليه .

الإدارة عنده هى فن توجيه العمل بالشكل الذى يضمن استثمار الطاقات كافة وتوجيهها لخدمة أهداف المؤسسة . كانت التنمية البشرية شغله الشاغل ، فسعى

لوضع الخطة الأولى للانبعاث سنة ١٩٧٣ والتى سافرتُ بمقتضاها إلى الولايات المتحدة الأمريكية . وكذلك سافر عدد كبير من الزملاء الذين عادوا بعد ذلك ليكونوا ثروة علمية تفخر بها جامعة المنصورة وغيرها من الجامعات ، ولقد عاد بعضهم إلى كليات تربوية أخرى ومنها جامعة الأزهر ليؤسسوا مدرسة علمية هناك هى - بلا فخر - مدرسة سيد خير الله للإبداع والابتكار .

أشرف على عشرات من طلاب الدراسات العليا الذين أثْروا البحث العلمى فى ميدان الإبداع والابتكار خصوصًا وفى ميدان الدراسات النفسية والتربوية عمومًا ، ناهيك عن العدد الذى لا يُحصَى من الرسائل التى ناقشها فى مصر والعالم العربى .

وما دمنا فى إطار الحديث عن مهارته فى الإدارة لزم أن نشير إلى بعد أساسى من أبعاد الإدارة عند سيد خير الله وهو البعد الإنسانى . لم يتردد لحظة فى أن يقدم الخير للجميع فكان - كما يقول المثل العربى - لكل من اسمه نصيب . ولم يتردد لحظة أيضًا فى أن يعفو عن المخطئين خصوصًا صغار العاملين . كان يؤلمه تدنِّى المستوى الفكرى واللغوى للرسائل التى تأتى إليه لتوقيعها فوجَّه غضبه إلى تنظيم دورة لتنمية مهاراتهم اللغوية واختار لهذه الدورة اسمًا كريمًا هو "دورة الإثراء اللغوى". بدلاً من أن يصب عليهم جامَّ غضبه ، وهكذا تُعالَج الأمور وتصحَّح الأخطاء وتُواجَه المشكلات .

أما على المستوى العربى والدولى فقد كان له إسهامات يصعب حصرها ، ولنبدأ بالإشراف العلمى على الطلاب العرب ، إذ كون مدرسة تشهد له بالفضل بعد الله ، ولقد تولى بعضهم فى بلادهم مناصب مرموقة منها رئاسة الجامعات ومنها الوزارات .

كما شارك فى عدد يصعب ذكره من المؤتمرات والندوات العربية والعالمية ، فضلاً عن القيام بمشروعات علمية متميزة للبنك الدولى واليونسكو والإلكسو والإيسيكو والمنظمة العربية للتنمية الإدارية وغيرها ، كما أن سيادته عضو فى عدد من الروابط والجمعيات العربية والعالمية .

كان اللافت لى ولغيرى ممن عرفه تلك الطاقة الهائلة على العمل ، وهذا الكم الهائل من الحب الذى يفيض ليضم كل ما حوله . عاش حر الفكر منطلق الإرادة ، لم يعمل لحساب أحد ، ما زال يعمل لحسابه هو ، حساب الإله الحى فى قلبه ، والمعيار الأخلاقى المستقر فى ضميره ، وبهذه المكانة لم يوجد فقط فى مسامعنا وأبصارنا ، بل ملء قلوبنا ، وإذا كانت الصفوة من العلماء تعيش الحياة فإن صفوة الصفوة هم الذين يهبون الحياة ، يهبون القدوة والمثل ، يهبون العلم والفكر والنور، ونشهد أنه كان من صفوة الصفوة ، وحسبة ذلك منزلة وفخراً .

كان قلبه هو بيته الذى يسع الناس جميعًا ، وينفتح على الدنيا بكاملها ، كان تجسيداً للعمل والإجادة والكرامة والتميز ، ليس فقط لنفسه أو أسرته أو مؤسسته بل لأصدقائه ومعارفه وكل من يصادفه . أنار العقول بتعاليمه ، وعلمنا كيف نقدر البساطة وكيف نحترم العمل الدءوب ، علمنا كيف نعطى وكيف نهب ، علمنا أن الغِنَى الحقيقى والكنز الذى لا يفنى يكمن فى ترحيبنا بالناس ، وفى ابتسامنا للآخرين ، فى عطائنا ولو كان قليلاً ، وفى قناعتنا ، وبساطتنا ، وإيماننا بالله .

وباختصار هو قمة مصرية فوق الشكوك ، فيه شَمَم القمم ، لا يداجى ، ولا

يتاجر، ولا يتسلق ، ولا يتملق ، فيه ارتفاع الكبير عن اللغو ، وامتناع العظيم عن اللهو ، وثراء الغنى بالقيمة .

برئت سمعته من القذى ، وارتفعت سيرته عن الأذى ، شرف به المنصب ، لأنه كبير من قبل المنصب ، ومن بعد المنصب ، لهذا نكرمه اليوم بعيداً عن المنصب ، نكرمه بالتاريخ الجليل ، والموقف النبيل ، والولاء الأبى ، والإباء النقى ، له من الإنجازات ما يكفيه ، وله من الأخلاق والفضائل ما يزكيه وله من العطاء ما يغنيه ، وله من النزاهة والعفة والطهارة ما يجعل له ذلك الحضور الجارف والمكانة الأكثر سمواً بين زملائه وتلاميذه وكل من يلاقيه .

نذر حياته للعمل والعطاء فلم يهتم بالملايين ، بل أعطى من قلبه وعقله ما لا يدانيه كل أموال الأرض ، وبهذا تعلو الأقدار ، وتغلو الأعمال ، ويدخل التاريخَ صناعُ التاريخ ، بلا ضوضاء أو استجداء أو رياء أو ادعاء .

إن التكريم الحقيقى الذى يرجوه هو أن نكمل ما بدأه ، ونتعهد ما غرسه ، ونحافظ على كل قيمة دعا إليها وعمل من أجلها .

وقد تعترضنا صعوبة ، ولكننا لن نفقد إيماننا بأننا نحمل فى عقولنا وقلوبنا وجذورنا سمات كلية عظيمة ، على رغم كل الظروف سنبقى أوفياء لرموزنا الأصيلة ، ورجالنا العظماء ، وأعلامنا الذين ظلوا مرفوعى الهامة ، وسوف نكمل المسيرة بجهد متواصل إن شاء الله ، وإيمان عميق بهذا الوطن ، تاريخاً وأرضاً وبشراً .

ما سجّلناه هنا أشبه بحسوة طائر من بحر عميق تلمّس جوانب مضيئة من حياة حافلة بجليل الأعمال وعظيم المسئوليات ...

ولم يكن بدعًا ولا مجاملة أن تفى الجامعة والدولة بشىء من حقه فى التكريم والتقدير فنال عدداً من الجوائز وشهادات التقدير فى جامعة المنصورة ، وعلى مستوى الدولة أيضاً .

فإليه وإلى كل من يعرف للعلماء أقدارهم وجميع من يرون لصاحب الخلق الرفيع وزنًا لا يعلوه ميزان ، ومكانًا ما فوقه من مكان ، إلى كل هؤلاء التحية الصادقة والأمل الكبير فى أن يديم لهم الصحة والعافية ودوام التوفيق والسداد .

أما أنت يا عَلَمَنَا العظيم ، فتحية لقيم الوفاء والعطاء التى مثلتها ، ونعاهدكم أننا على طريقكم سائرون ، وكلنا ثقة أنكم ستعيشون فى قلوبنا وتطلون علينا من داخلنا ، هاتفين بنا : أحبوا عملكم ، اجعلوا كلية التربية فى عيونكم ، ارسموا صورة كبيرة للعطاء فى ضمائركم .

فـى تكـريم الـرواد

أسـتـاذنـا الـدكـتـور/ سـيـد خـيـر الـلـه

مـحـمـد عـبـد الـظـاهـر الـطـيـب

لم يكن من الإنصاف لهؤلاء الرواد الأربعة أن نجتمع لتكريمهم فى يوم واحد ، فكل واحد منهم يحتاج دهراً لتكريمه .

أستاذنا الدكتور صلاح قطب مدرس فى العلم وفى التفكير وفى التربية العلمية وفى أخلاقيات العالِم وتواضعه وفى زيادة العمل البحثى وفى تطوير التعليم وتطوير تدريس العلوم ، وغير ذلك كثير .

وأستاذنا الدكتور عبد السلام عبد الغفار عالَم فسيح من الإبداع والتفكير والسياسة والثقافة والتربية وعلم النفس ، وقبطان ماهر سبح فى النفس الإنسانية فسبر أغوارها ، وربان قاد بمهارة وزارة التربية والتعليم ، وترك بصماته الواضحة على جامعة عين شمس عندما كان رئيسا لها . ولقد عبَّر زملاؤه عن تقدير بلا حدود لشخصه عندما انتخبوه بجدارة عميداً لكلية التربية – جامعة عين شمس لثلاث مرات متتالية .

وأستاذ الأجيال وشيخ التربويين حامد عمار ، تاريخ حافل وعمق فى التفكير وعطاء دائم مستمر فى مجالات التعليم والتربية والسياسة والتاريخ وعلم الاجتماع . يحمل صلابة قريته سلوه وأصالتها ، صنعت منه عملاقًا وصنع منها أسطورة . يرتفع بها فوق الأحداث ويصمد بعوده النحيل أمام العواصف ، ويأبى أن ينحنى إلا لله ، حتى نصيحة الطبيب له فى طفولته بأن يشرب كل يوم فنجانا من السمن ، حتى هذه النصيحة طرحها جانبا ليبقى كما هو حامد عمار .

وصاحب مدرسة الإبداع والابتكار فى جامعة المنصورة ، سيد خير الله ، الذى احتضن هذا الفكر المبدع سائرا فى خطى موازية لعبد السلام عبد الغفار الذى قاد مسيرة الإبداع فى جامعة عين شمس، فصنعا مدرسة الابتكار فى مصر والعالم العربى ، وألقت المدرسة بظلالها على كل جامعات العالم من خلال الدراسات والأبحاث والمؤتمرات التى تمَّت فى المنصورة وعين شمس .

لم يكن من الإنصاف قط أن نختزل مدة التكريم فى يوم واحد ، وكان من حق كل واحد منهم سنوات طوال للتكريم ، وكان من حقنا نحن أيضا أن نعيش هذا الفكر المتوقد لكل واحد منهم سنوات طوالاً ننهل منه ، ونتعلم ، ونعلم أبناءنا .

لقد كان لسيد خير الله خط واضح ، أكمل مع تلاميذ " تورانس " مسيرة الابتكار ، وكان معه نخبة ممن تتلمذوا على " تورانس " فى جامعة جورجيا بالولايات المتحدة الأمريكية ، كان معه شاكر قنديل وحسين الدرينى وصلاح مراد وثابت علىٍّ الدين ، وكانت أبحاثهم نقطة البداية ، وكانت رعاية سيد خير الله لهم هى ضمان الاستمرار ، وكانت هذه المدرسة هى نقطة الإشعاع التى تلتقى فى ضيائها مع مدرسة تربية عين شمس تحت رعاية عبد السلام عبد الغفار .

ويكفى مدرسة سيد خير الله فى المنصورة فخراً اعتزازُ " تورانس " بها وبإنتاجها وبنمو وتطور أبنائها ، ولقد كان لى شرف لقاء " تورانس " فى منزله فى " أثينز " بجورجيا فى عام ١٩٩٥، وحدثنى الرجل بكل الاعتزاز عن تلاميذه وأبحاثهم وعن أستاذهم فى المنصورة الدكتور سيد خير الله الذى رعاهم خير رعاية.

ولم يقتصر عطاء سيد خير الله على جامعة المنصورة ، بل امتد إلى الإمارات العربية المتحدة لينشئ مدرسة علمية فى الجامعة هناك ويقود حركة البحث العلمى فيها ثم كانت جهوده الدائمة والمستمرة فى جامعة الخليج بالبحرين حيث أشرف على الحركة العلمية البحثية فيها لسنوات .

لقد كان سيد خير الله وسيظل علامة من علامات البحث والريادة فى مجال علم النفس التربوى ومجال الإبداع والابتكار وعلم النفس الإدارى ومجالات التربية الخاصة فى مصر والعالم العربى .

المرحوم الأستاذ الدكتور يوسف صلاح الدين قطب

مسيرة عطاء غنية بالتفاني والإخلاص

أ . د فارعة حسن محمد

إنه لشرف عظيم أن تطلب لجنة التربية بالمجلس الأعلى للثقافة أن أشارك في هذه الاحتفالية الخاصة بتكريم الرواد ، وأن أكتب عن أستاذ عظيم ورمز من رموز التربية الشرفاء ، المرحوم الأستاذ الدكتور يوسف صلاح الدين قطب ، ولذا أستهلُّ كلماتي بشكر المجلس الأعلى للثقافة أنْ دعَمَ هذه الاحتفالية التي نعترف فيها بالفضل لأساتذة عظام قدَّموا لمصر وللعالم العربي ، بل للعالم كله ، فكرهم وعطاءهم ، وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يمنح الصحة والعافية لأستاذنا الكبير الأستاذ الدكتور جابر عصفور أمين المجلس ، وأحمد الله أن عاد إلينا سالما غانما موفور الصحة والعافية . شكري وامتناني لأستاذي العظيم والذي منحني شرف الانتماء إلى هذه اللجنة التي أفخر دائما بعضويتها ، الأستاذ الدكتور عبد السلام عبد الغفار . شكري وتقديري للأستاذ الدكتور سعيد إسماعيل الذي أمدني بالكثير من المعلومات وسمح لي باستخدام مكتبته الغنية ، كما أشكر الأستاذ الدكتور رشدي طعيمة الذي مد لي يد العون ، وأضاف إليَّ الكثير من خلال آرائه وأفكاره ولقاءاته مع المرحوم الأستاذ الدكتور يوسف صلاح الدين قطب . شكري واعتزازي لأسرة العلاقات العامة بجامعة عين شمس أن أمدوني بفيض من المعلومات عن السيرة الذاتية لأستاذنا العظيم . الشكر موصول لكل من أبدى رأيه وتحدث بحب عن المرحوم الأستاذ الدكتور صلاح الدين قطب ، خصوصاً أسرته الكريمة .

مسيرته العلمية :

بدأ المرحوم الأستاذ الدكتور صلاح الدين قطب مسيرته العلمية والعملية بمنهج واضح ، ولم يكن يريد أن يصرفه عن دراسته الأكاديمية شيء ، كان يذكِّر زملاءه وطلابه دائماً أن مستقبل الأستاذ الجامعي هو العمل الأكاديمي . لقد تنقل - رحمة الله عليه - بين مناصب عديدة من معلِّم للكيمياء في المدرسة الثانوية إلى رئيس للجامعة ، فكان نموذجاً للأستاذ المعلم المتخصص الذي يؤمن بقيمة العلم والعلماء .

- وُلد الأستاذ الدكتور صلاح الدين قطب فى محافظة الشرقية فى شهر أغسطس من عام ١٩١١ ودرس فى مدرسة المعلمين العليا وتخرج فيها عام ١٩٣٢ .

- ثم عمل معلما للكيمياء بمدرسة سوهاج الثانوية ، أحب العلم وانشغل به وتطلع دائما إلى الأفضل ، وأبدع فى طرق تدريس العلوم فاختارته وزارة المعارف لبعثة الى المملكة المتحدة لنيل درجة الماجستير فى الكيمياء الحيوية .

- عاد إلى الوطن وعُيِّن معلِّمًا للكيمياء بالمدرسة السعيدية بالقاهرة ، ثم موجِّهًا للكيمياء بوزارة التعليم ، ثم مدرسا مساعدا بكلية العلوم جامعة فاروق الأول - جامعة الإسكندرية .

- وعمل بالمعهد العالى للتربية بالجامعة ثم رُشِّح لبعثة علمية إلى الولايات المتحدة الأمريكية لدراسة الدكتوراه فى التربية العلمية من جامعة كولومبيا ، ثم عاد إلى مصر ليعيَّن مدرسا للتربية العلمية بالمعهد .

- تدرج فى المناصب الجامعية حتى عُيِّن عميدا لكلية التربية بجامعة عين شمس التى كان يحبها حبا لا حدود له ، و يتحدث عنها فى كل مكان ويقول : " إن كلية التربية كانت نواة لكليات التربية التى أنشأتها الحكومة ، بالإضافة إلى كليات التربية التى أُنشئت فى مختلف الدول العربية" .

- تولى الأستاذ الدكتور صلاح الدين قطب منصب نائب رئيس الجامعة للدراسات العليا عام ١٩٦٦ ، وطلب منه الأستاذ الدكتور محمد مرسى أحمد رئيس الجامعة حل مشكلة النظامين التكاملى والتتابعى فى معهد التربية للمعلمين وكلية التربية ، وذلك عندما أنشئت اللجان النوعية بالجامعات ، وكانت هناك لجنة لإعداد المعلم طلب منها تطوير إعداد المعلم ، وكان هناك برنامجان أحدهما فى كلية المعلمين والآخر فى كلية التربية ، كان القرار الحكيم من الأستاذ الدكتور يوسف صلاح الدين قطب بضم كلية المعلمين إلى كلية التربية تحت مسمى "كلية التربية"، وكان منطقه أن الكلية يجب أن تسمى بالعلم الذى تنشغل به .

- عُين رئيسا لجامعة عين شمس من عام ١٩٦٩ حتى عام ١٩٧١ ، فكان من أوائل االتربويين الذين رأسوا هذه الجامعة العريقة .

- فى عام ١٩٧٣ أنشأ مركز تطوير العلوم لكى ينشر التربية العلمية ولمواكبة التحديات واللحاق بالتطورات العلمية .

- استمرت مسيرته للعطاء فى مركز تطوير تدريس العلوم وفى كلية التربية بجامعة عين شمس وبين تلاميذه فى الدكتوراه ، وذلك بعد انتهاء رئاسته للجامعة ، استمرت ثلاثين عاما حتى عام ٢٠٠٢ حين انتقل إلى جوار ربه ، وقد ترك خلال حياته موروثا علميا وفكريا وتربويا متميزا .

- دعم البعثات لأعضاء هيئة التدريس فى جميع كليات الجامعة ، و طالب بضرورة تمهين المواد العلمية .

- شكل خلال عمره مدرسة فكرية اجتذبت بعمق مبادئها وغزارة مواردها جمعاً من طلاب العلم وشباب الباحثين والذين صنعتهم هذه المدرسة وصاروا من بعدُ أعلاما يقودون المسيرة بالجامعات والهيئات المصرية والعربية على السواء .

- أشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه ، وتتلمذ على يديه الكثيرون الذين يدينون له بالفضل .

- رأس لجنة قطاع العلوم التربوية والنفسية .

- رأس اللجنة العلمية للترقيات وتميزت إدارته بالموضوعية فى الرأى والتريث فى إصدار الأحكام والترفع عن الأهواء والمجاملات والهدوء فى تناول القضايا .

- كان همُّه نشر الوعى بالعلم بين طلابه وباحثيه ، قاد دعوة موفقة لتعريب تدريس العلوم بالجامعات المصرية ، وظل ينشر هذه الدعوة ، وكان يرى أن تعريب العلوم واجب قومى وفيه إثراء اللغة العربية ، وأنه يسهِّل تناول العلم ويوسِّع مجال التعليم والتأليف أمام أبنائنا ، ومع ذلك كان حريصا على الاهتمام باللغات الأجنبية ويدعو لتعلُّمها ويحرص على دعم ذلك .

- كان عضوا بالمجمع العلمى المصرى والأكاديمية المصرية للعلوم .

- على الساحة الدولية كان وجوده كبيراً واسع النطاق ، فقد كان عضوا فى الكثير من الجمعيات العلمّية العالمية ، وممثلا لمصر فى عدد من المؤتمرات الدولية والمنظمات الدولية .

- كان عضوا بالمجلس الأعلى للتعليم ورئيسا لشعبة التعليم العامٍ والتدريب بالمجلس القومى للتعليم والبحث العلمى .

- كان رئيساً لشعبة محو الأمية وتعليم الكبار بالمجلس القومى للتعليم .

- كان رئيس مجلس إدارة رابطة خريجى المعاهد وكليات التربية ، ورئيس تحرير مجلة التربية الحديثة وصحيفة التربية .

- كان رئيس شرف الجمعية المصرية للتربية العلمية فى مصر .

- كان رئيس شعبة جوائز تبسيط العلوم بأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا .

- حبه للعمل الاجتماعى جعله يشارك فى أنشطة العديد من الجمعيات الأهلية والعمل الاجتماعى والأنشطة التطوعية لخدمة المجتمع ، وشغل منصب رئيس مجلس إدارة الاتحاد النوعى لذوى الاحتياجات.

قضايا شغلت تفكير أستاذنا :

كغيره من علماء مصر الشرفاء انشغل بهموم مصر وقضاياها : شغلته قضية الطفولة ، وكان يرى أن تربية الطفل مسئولية كبيرة ، وأن تربيته تربية سليمة لن تتحقق دون أن يُبذل جهد كبير فى توفير مناخ أسرى يسوده الحب والأمان ، ودون مناخ صحى توفره له المدرسة و ينشط من خلاله ، وتُحترم فيه آدميته ، وتتوافر له فيه حرية التعبير ، وينال فى كنفه وتحت مظلته حقه فى التعليم وحقه فى الرعاية وحقه فى

الحماية وحقه فى العيش فى جو ديمقراطى يسوده الأمن والطمأنينه وتتفجر فيه طاقاته الكامنه بعيدا عن سطوة وطغيان عالم الكبار على عالمه المحدود . كان يطالب دائما بضرورة رعاية الأطفال وحماية حقوقهم من التعسف الذى قد يتعرض له البعض منهم من قلة من المعلمين غير الواعين . كما طالب بضرورة الاهتمام بإعداد معلم المرحلة الابتدائية الذى يتعامل معه الطفل فى بداية سنواته الدراسية .

واحتلت قضايا الشباب مكانا متميزا فى فكره ووجدانه ، وكان يرى فى الشباب مستقبل الأمة ، وأن رعاية الشباب هى قضية إصلاح المجتمع ، وأن هذه الرعاية يجب أن تكون رعاية متكاملة لا نهتم فيها بجانب على حساب الآخر ، أى يجب نهتم بالجانب الثقافى قدر اهتمامنا بالجانب الرياضى . كان ينادى دائما بأن نمد يد العون للشباب ، نخلص لهم ونرعاهم ونرشدهم ونبشرهم دائما بالحياة .

أما قضايا إصلاح التعليم فلقد كتب عنها الكثير ، ومن هذه الكتابات ما أكد فيه على أن التعليم يجب أن يخطَّط على أسس علمية سليمة لا تخبط فيها ولا ارتجال ، ولا مجال للآراء الاستنباطية القائمة على المزاج الشخصى فى تحديدها ، بل يجب أن يكون التخطيط للتعليم ورسم سياسته قائمًا على العلم والدراسة والتجربة ، والإلمام بخبرة مجتمعنا وخبرة المجتمعات الأخرى ، واستقراء الحقائق والإفادة من جميع البحوث التربوية التى أُجريت ، وأن نستأنس بآراء طوائف الشعب المختلفة فى تحديد معالم إصلاح التعليم ، كما يجب الاستماع لكل رأى سديد يأتى من قادة الرأى والفكر فى مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، ومن الهيئات التى تعمل مع الشباب ، ويجب أن نستمع للتلاميذ والطلاب فيما يتعلق بالصعوبات التى تصادفهم فى التعليم ، والمعوقات التى تحول دون إفادتهم بما تقدمه لهم الدولة من خدمات تعليمية . من عباراته :

- إن إصلاح التعليم على أسس من البحث العلمى والتخطيط السليم هو الضمان لاستقرار هذا الاصلاح من جهة وديناميته من جهة أخرى .

- ليس من الحكمة أن نستورد التعليم من أى بلد أجنبى بحجة نجاح التعليم المستورد فى بلده الأصلى ؛ فنظام التعليم فى أى بلد وأهدافه ومناهجه ووسائله وإدارته ... كل ذلك يرتبط ارتباطا جذريا بحضارة هذا البلد وخصائص الحياة ومشكلاتها فيه .

- إن إصلاح التعليم يحتاج إلى توفير مصادر التمويل الكافية لمتطلبات هذا الإصلاح ، ومهما قيل عن أن جانبا من الإصلاح يمكن تحقيقه عن طريق التقليل من الفاقد فى الجهود الحالية فإن الزيادة السكانية الضخمة فى كل عام واستيعاب جميع الأطفال والاستعانة بالتكنولوجيا الحديثة يتطلب قَطْعًا مزيدا من الإنفاق عليه بما يتناسب مع الأهمية التى يُنظر إليه بها فى حياة الأمة .

أما قضية البحوث التربوية فى مصر فقد كان يرى حتمية الاعتماد عليها فى تنفيذ برامج إصلاح التعليم وتطويره ، وأن عدم الاعتماد على الطاقات الثمينة والجهود المبذولة فى هذه البحوث قضية خطيرة ، ولقد رجع هذه القضية إلى عدم وصول هذه البحوث إلى المخططين وواضعى السياسات التربوية والمشرفين والموجهين ، وأشار إلى أن الإفادة من البحوث التربوية فى مجال التعليم لا يمكن أن تتحقق إلا بما يلى :

- إيمان القيادات التربوية والمعلمين وجميع العاملين فى حقل التعليم بقيمة البحوث التربوية ودورها فى إحداث الإصلاح والتجديد .

- وجود استراتيجية للبحوث التربوية على المستوى القومى لإحداث التطوير ودفع حركة إصلاح التعليم .

- وجود مصادر لتمويل هذه البحوث ليضمن استمرارها وفاعليتها .

- لا بد من نشر خلاصات هذه البحوث وتصنيفها وتبويبها وتوصيلها إلى الفئات المستهدفة .

- ضرورة تمثيل الإدارات التعليمية بدرجة كافية فى المجالس العلمية المسئولة عن تخطيط البحث التربوى وتوجيهه .

كيف كان المرحوم الأستاذ الدكتور يوسف صلاح الدين قطب يرى التربية العلمية ؟

● يقول فى حديثه عن التربية العلمية : يجب أن تبدأ التربية العلمية بالنشاط العلمى فى مراكز البحوث والجامعات وتنتهى بالتربية العلمية للقاعدة الشعبية من الأمة ، فيجب أن توجَّه البحوث بقدر الإمكان لحل مشكلاتنا المتعلقة بالتعليم والزراعة والتعمير والصحة والصناعة والإنتاج وغير ذلك مما يوفر الرفاهية لأفراد الشعب جميعا ، ويتطلب ذلك تجنيد العلماء وتعبئة الكفايات والإمكانيات والجهود وتوجيهها نحو غايات لسد حاجات المجتمع وتطوره و لتدعيم استقلاله السياسى والاقتصادى ، ولا بد أن تتولى الدولة إنشاء المؤسسات العلمية القادرة على هذه البحوث ودعمها والتنسيق فيما بينها ، إضافة إلى الدعم القوى القائم من هذه المؤسسات .

● يجب أن تساعد التربية العلمية على اجتذاب الموهوبين والمتفوقين من أبناء الأمة للإقبال على التخصص فى ميادين العلم والتكنولوجيا لكى نُعدَّ القوى البشرية اللازمة للنهوض بالبرامج العلمية والتكنولوجية التى يتم التخطيط لها ، كما يجب أن يُعنَى فى إعداد هؤلاء العلميين بالدراسات الإنسانية التى تساعدهم على إدراك العلاقة بين علومهم التى يتخصصون فيها ومجتمعهم ، وأثر تطبيق هذه العلوم فى تحقيق آمال المجتمع وأهدافه ، فاهتمامنا بالعلم والتكنولوجيا يجب أن لا يكون على حساب العلوم الإنسانية وتثبيت القيم الروحية فى المجتمع .

● كما أكد أنه من الأهمية بمكان أن ننشر التربية العلمية على أوسع نطاق ممكن بين القاعدة الشعبية حيث إن العلم لا يمكن أن يزدهر إلا في بيئة اجتماعية مهيأة لنموه ، ولا يكفى إجراء البحوث وتدعيم الجامعات ومدها بجميع الإمكانات المادية والبشرية لكى نحول مجتمعاتنا من مجتمعات متخلفة إلى مجتمعات عصرية ، ولا يمكن أن يزدهر العلم فى مجتمع هزيل يعمُّ الجهلُ قاعدته الشعبية وتنقصه القيم التى توجِّه العلماء فى نشاطهم إلى ما يعود بالخير على المجتمع .

• وكان يرى أن التربية العلمية يجب أن تهدف إلى تكوين العقلية العلمية والروح العلمية ، فالعلوم الحديثة تتصف بالأسلوب العلمى ، لذا يجب أن نساعد شباب الأمة على تكوين فلسفة علمية تعينه على النظر إلى هذا العالم نظرة تتفق مع ما يحدث فيه من تطورات سريعة دون أن تزعزع قيمه الروحية والاجتماعية ، وأن نساعده على تكوين العقلية التى تعتمد دائما على التفكير ، وبذلك نحميه من أن يكون فريسة للدجل والشعوذه والخرافات ، فما أشد حاجة شبابنا إلى النظرة العلمية التى تخلِّصه من حيرته فى هذا العالم الكبير !

• ولقد أشار المرحوم الأستاذ الدكتور صلاح الدين قطب إلى أن برامج التربية العلمية للقاعدة الشعبية ، سواء ما يقدم منها داخل مدارس التعليم وما يقدم خارجها ، يجب أن تهدف إلى أن يتمثل الشعب الدور الذى تلعبه العلوم فى حياتنا حتى يصبح العلم جزءا لايتجزأ فى حضارتنا ، فنبصِّر أفراد الأمة بأن التقدم العلمى والتكنولوجى قد مكَّن الإنسان من التغلب على كثير من مشكلاته ، وسد احتياجاته النفسية والبيولوجية ، ونؤكد لهم أهمية توجيه النشاط العلمى لتحقيق هذه الغايات فى مجتمعنا واستخدام المكتشفات العلمية وتطبيقها فيما يعود عليهم بالرفاهية .

• كما أكد عالمنا الجليل أن التربية العلمية للقاعدة الشعبية يجب أن تهدف إلى توضيح الأساسيات العلمية التى تساعد على فهم الظواهر الطبيعية والمكتشفات الحديثة والأسس العامة التى يقوم عليها استخدام العلم والتكنولوجيا ، فمن الواضح أن الجهل بهذه الأساسيات لن يجعل التحدث عن المكتشفات العلمية أكثر من ثرثرة علمية دون إدراك صحيح لما تنطوى عليه ، لذلك يجب أن يحتوى التعليم الأساسى الإلمام بأساسيات العلوم ، إذ لا شك أنه كلما زاد إدراك الفرد بأساسيات العلوم كان أقدر على فهم ما يستجد من المكتشفات . ولقد تعلمت ذلك الدرس جيدا على يد أستاذى الفاضل ، وفى ضوئه سجلت رسالة الماجستير فى أساسيات العلم ، وما زلت أعلِّم هذا الدرس للمعلمين والطلاب . وها هو مركز تطوير تدريس العلوم بجامعة عين شمس الذى مهدت لإنشائه وأدرته باقتدار يواصل المسيرة وينشر التربية العلمية بين أبناء مصر كما تمنيت دائما .

وأخيرا أستاذى الفاضل ماذا قالوا عنك بعد أن رحلت ؟

• الأستاذ الدكتور مفيد شهاب وزير الدولة لشئون مجلسى الشعب والشورى قال عنك : إن الراحل الكريم قد فارقنا بجسده لكنه سيظل فى قلوبنا بروحه ، وفى فكرنا بجسده كعالم من أبرز العلماء الذين خدموا الوطن فى تجرد ، وكرسوا حياتهم لنشر الثقافة العلمية فى المجتمع وقدم فرعا من فروع العلم وهو التربية العلمية ، وهو صاحب مدرسة جديدة متطورة فى اختيار وسائل العلم الحديثة ، اشتهر بين زملائه بالتجديد فى طرق وأساليب تدريس العلوم وأصبح علمه مرجعا غزيرا فى مجال العلوم التربوية . إن العالم الراحل كان نموذجا للأستاذ الجامعى المحبوب من زملائه وتلاميذه ، كان كالشجرة الوارفة التى امتدت أغصانها وفروعها ففاضت بالخير على من حولها ، وألقت بثمارها الى كل محتاج إليها .

• الأستاذ الدكتور صالح هاشم مصطفى الرئيس الأسبق لجامعة عين شمس : إن الجامعة تفخر بمركز تطوير تدريس العلوم الذى يُعَدُّ ثمرة يانعة للمغفور له الأستاذ الدكتور صلاح الدين قطب ، والذى فقدناه بعد حياة حافلة بالعطاء والثراء فى مختلف أنشطة المركز والجامعة حتى قبيل الأيام الأخيرة لوفاته ، فقد أرسى العالم الراحل قواعد التربية العلمية فى مصر والوطن العربى ، وظل يشارك فى مختلف أنشطة المركز . نسأل الله جميعا أن يتغمده برحمته الواسعة ، وأن يُسكنه فسيح جناته .

• الأستاذ الدكتور رشدى طعيمه العميد الأسبق لكليات التربية بالمنصورة وجامعة السلطان قابوس ومقرر اللجنة العلمية الدائمة للمناهج قال عنك : شاء القدر أن أسعد بالتلمذة على يد المرحوم الأستاذ الدكتور صلاح الدين قطب فى الجلسات العلمية فى سيمينار قسم المناهج لفترة طويلة ، كما شاء القدر أن أسعد به رئيسا للجنة قطاع العلوم التربوية عندما كنت عميدا بكلية التربية بدمياط والمنصورة ، فوجدت فى هذا الرجل نموذجا صادقا للأستاذ الجامعى بكل ما يحمله مصطلح الحياة الجامعية من معنى ، يجمع إلى العلم الغزير الخلق الفاضل والقدرة على استيعاب الآخرين ، واحترام ثقافتهم وإن لم يقبلها ، ولئن كان من الصعب أن يجمع الإنسان

الكفاءة فى العلم والإدارة ، فإن المرحوم الأستاذ الدكتور صلاح قطب كان كفئًا .

• الأستاذ الدكتور عبد الله محمد إبراهيم الأستاذ بكلية العلوم جامعة عين شمس والخبير بمركز تطوير تدريس العلوم قال عنك : يعز علينا أن نتحدث عن مآثر أستاذنا العظيم المرحوم الأستاذ الدكتور صلاح الدين قطب ، أستاذ الأجيال العلمية والتربوية فى آن واحد ، فقد كان رائدا نموذجيا تعلمنا منه الكثير خلال إدارته لمركز تطوير العلوم منذ ١٩٧٤ حتى ١٩٩٩ ، وعملنا تحت رئاسته كفريق متجانس يجمع بين العلميين والتربويين فى بوتقة واحدة بفضل خبرته وحكمته وإدارته الرشيدة ، وسوف نذكره بالفضل والعرفان لما قدمه لنا وللأجيال المتلاحقة ولمصرنا العزيزه من علم غزير وآراء يُعْتَدُّ بها فى تطوير التعليم بعامة وتدريس العلوم بخاصة فى الحاضر والمستقبل .

• السيدة الفاضلة منى صلاح الدين قطب : لقد اهتم بتربيتنا اهتماما لا حدود له ، رغم أن فترة لقائنا به كانت قليلة ، ولكن كنا نكتشف دائما أنه يعلم أدق تفاصيل حياتنا . تَبَنِّى الطريقة العلمية فى تناول القضايا ، وكان يؤكد لنا دائما أن الطريقة العلمية لابد وأن تكون منهجنا فى الحياة ، وكان يؤكد لنا أيضا أنه ليس هناك شىء مسلَّم به فى الحياة ، ولا بد لنا أن نطرح كل شىء للتفكير والتساؤل والبحث . كانت لديه قدرة على تبسيط العلوم بطريقة رائعة ، كان يتميز بالحكمة ، ويمتلك عقلية تحليلية وقدرة على الإقناع ، رغم أنه كان قليل الحديث . كان العلم بالنسبة إليه أسمى رسالة فى الحياة . لقد كان يردد دائما : أن أُعِدَّ باحثا وطالب علم وأوصِّله إلى بر الأمان هى أسعد لحظات حياتى وأسمى وأرقى رسالة فى حياتى .

• والآن ماذا أقول لك أستاذى العزيز فى لحظات تكريمك ؟

لقد امتزج سلوكك العلمي بسلوكك الحضارى فكنت ملحمة رائعة من الحب والعطاء . كان سلوكك سلوك إنسان متحضر ومثقف ، يتسع عقلك للتفكير المتجدد ، لم أرَكَ دائما إلا ساعيا للخير أو منشغلا بالعلم ، لم أرَكَ تغضب أو تثور ، علَّمتنى الهدوء والصبر ، و تعلمت منك الكثير فى جلسات قسم المناهج وفى المؤتمرات العلمية التى

كنت فيها الكبير والصغير بصبر وجلَد ، تبدى رأيك وتصل بنا إلى بر الأمان فى أعقد القضايا بحكمة وصبر، ومنطلقا من رصيد خبرات علمية وتربوية وإدارية لا حدود لها . لقد كنت أسعد دائما بحضورك ووجودك بيننا ، لقد كان شرفا عظيما لى أن تطلب منى لجنة التربية بالمجلس الأعلى للثقافة أن أكتب عنك يوم تكريمك ، أرجو أن تقبل عذرى إن قصرت ... ولقد قصرت بالفعل فى أن أوفيك حقك ، فمن الصعب أن يحيط أحد بجوانب حياة شخصية حافلة مثل حياتك ، وأن أكتب عن رحلة عطاء غنية بالحب والتفانى والإخلاص ، وأن أغطى جوانب شخصيتك العظيمة وأبعاد سيرتك العطرة . جزاك الله خير الجزاء على ما تركت للأجيال من أفكار ومدارس فكرية ، ورحمك الله رحمة واسعة وأسكنك فسيح جناته إنه سميع الدعاء .

أستاذنا الدكتور صلاح قطب والبحث التربوى

مىّ محمود شهاب

تم إنشاء المركز القومى للبحوث التربوية عام ١٩٧٢ بالقرار الجمهورى رقم ٨٨١ لسنة ١٩٧٢ فى عهد الأستاذ على عبد الرازق وزير التربية والتعليم آنذاك ، وكان للأستاذ الدكتور صلاح قطب دور كبير فى إنشاء هذا المركز ودعمه من خلال عمله مع الوزارة فى أنشطة متعددة ، وكان الوزير يستعين به فى الكثير من القضايا التربوية .

وقد تميزت هذه الفترة بمحاولات جادة من الوزارة لتطوير التعليم ، وأرسل الوزير عدداً من خبراء التربية والعاملين بالوزارة إلى الخارج للتعرف على الاتجاهات المعاصرة فى التعليم والتجارب الرائدة فى الدول المتقدمة والتى كان من نتائجها إنشاء المركز القومى للبحوث التربوية .

ظلت علاقة الأستاذ الدكتور صلاح قطب بالمركز قائمة منذ هذا التاريخ داعماً لأنشطته موجهاً لخططه البحثية مسهماً فى تطويره وتوسيع دائرة أعماله وذلك من خلال مشاركته فى العديد من لجانه البحثية والمشروعات التى اضطلع بها وخصوصاً تلك التى تمت بالتعاون مع المؤسسات والمنظمات المحلية والدولية والتى تعمل فى التعليم ، وكان ذلك خلال تولى الأستاذ الدكتور فؤاد البهى السيد والأستاذ الدكتور يوسف خليل إدارة المركز .

وخلال تولِّى الأستاذ الدكتور مصطفى كمال حلمى الوزارة كان دور الأستاذ الدكتور صلاح قطب دوراً واضحاً داعماً لمعظم أنشطة وأعماله المركز ومشاركاً لها حيث كان دائماً فى مجلس إدارة المركز .

استمرت عضويته لمجلس إدارة المركز فترة طويلة بصفته أستاذاً للتربية وعميداً لمعهد التربية ورئيساً لجامعة عين شمس ورئيساً للجنة القطاع فى التربية وعضواً بالمجالس القومية المتخصصة ورئيساً لشعبة التعليم العامٍّ بالمجلس القومى للتعليم . ورئيساً لمركز تطوير تدريس العلوم بجامعة عين شمس . ومقرراً للجنة التربية وعلم النفس بالمجلس الأعلى للثقافة .

كل ذلك أعطى لأستاذنا الدكتور صلاح قطب دوراً مهماً وأتاح له فرصاً للمشاركة

فى العديد من أعمال المركز وإنجازاته والتى من أهمها :

* تطوير المناهج للتعليم قبل الجامعى وخصوصاً مناهج العلوم .

* المؤتمر القومى للتعليم الذى عُقد عام ١٩٨٧ تحت مسمى "أمة لها مستقبل" فى عهد الأستاذ الدكتور فتحى سرور .

* مشروع توحيد مصادر إعداد المعلِّم وذلك من خلال اللجنة التى كان يرأسها بالمركز والتى انتهت بإلغاء دور المعلمين والمعلمات وجعل إعداد المعلم موحَّداً لجميع مراحل التعليم قبل الجامعى يتم فى كليات جامعية .

* تطوير المركز القومى للبحوث التربوية وتحويله إلى مؤسسة بحثية علمية ينطبق عليها الكادر الجامعى وقانون تنظيم الجامعات ، والتى انتهت بصدور اللائحة التنفيذية بقرار رئيس الجمهورية رقم ٥٢ لسنة ١٩٨٩ وأصبح المركز تحت مسمى "المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية" ، وكان كل ذلك بتوجيهات من أستاذنا الدكتور صلاح قطب وفى عهد إدارة الأستاذ الدكتور حسين بشر للمركز .

* ومن بين مشاركات أستاذنا صلاح قطب الفعَّالة كرئيس لكثير من المشروعات والدراسات :

– معلِّم التعليم الأساسى .

– مشروعات برنامج التجديد التربوى الإيبيداس Eipdos.

– تطوير مناهج التربية العلمية والتربية البيئية .

– مشروع الخطة البحثية للمركز (١٩٨٨ – ١٩٩٢) .

– مجلة البحث التربوى للمركز .

* دعم الأستاذ الدكتور صلاح قطب التعاون الوثيق بين المركز ومركز تطوير تدريس العلوم بجامعة عين شمس من خلال أعمال مشتركة بين المركزين .

- مشروع تطوير التربية العلمية للتعليم الأساسى .

- مشروع لتطوير تقويم المواد العلمية .

- تبادل المشاركة فى المؤتمرات والندوات والسيمينارات العلمية التى يقوم بها كل من المركزين .

- كان حريصاً على اختيار مدير المركز القومى للبحوث عضواً دائماً فى مجلس إدارة مركز تطوير تدريس العلوم .

- وبصفة عامة كان أستاذنا الدكتور صلاح قطب عاشقاً للبحث التربوى دافعاً لكل من يعمل به على التقدم والتطوير ، داعماً للمركز القومى للبحوث التربوية ومسانداً له ... كل ذلك كان إيماناً منه - كما كان دائماً وباستمرار - أن المركز يمثل العقل المفكر للوزارة والنافذة التى تنقل لها كل ما هو جديد وحديث ومبتكَر ، وقد ظهر هذا بوضوح أيضاً من خلال مشاركاته الإيجابية فى العديد من الأنشطة والمشروعات والاستنارات للمركز طوال أكثر من عقدين .

رحم الله الأستاذ الدكتور صلاح قطب عالم التربية وأستاذها وجزاه الله خيراً عماً كان يقدمه للمركز إيماناً منه بأهمية هذه المؤسسة . وإننى إذ أقدم هذه الكلمات أشرف بتقديم هذه النبذة التاريخية من حياة أستاذنا الدكتور صلاح قطب وبصماته الواضحة على مركز البحوث التربوية الذى أنتمى إليه كابنه من أبنائه فأنا إحدى تلميذات أستاذنا منذ عام ١٩٥٨ عندما أتيت من الإسكندرية لأتتلمذ على يديه ، وكان عميداً لكلية التربية بالجيزة آنذاك .

حامد عمار

وخطى اجتازها على طريق من الأشواك والأشواق

د.محمد سكران

مقدمة:

يُعَدّ أستاذنا الدكتور حامد عمار من المفكرين الاجتماعيين والتربويين القلائل فى المنطقة العربية ، لما يتميز به من الرؤى العلمية العميقة والخصال الفريدة، علماً وتفكيراً ، منهجاً وتحليلاً، عمقًا واتساعًا ، إخلاصًا وعطاءً ، طهراً ونقاءً ، شفافية وصفاءً ، ولاءً وانتماءً ، موقفًا والتزامًا. فله فى كل هذه الخصال – وفى غيرها مما يصعب حصره – الباع الطويل ، والنصيب الأوفر.

وهذا أمر قد لا يحتاج إلى طول فى الإثبات أو التأكيد عليه ، حيث يمكن أن يلحظه بسهولة ويسر كل من يلتقى به ، أو يتعرف عليه ، أو يحاوره ، أو يعايشه ، فهو المفكر المبدع، والمتحدث اللبق ، والمحاور البارع. حتى فى صمته تجده فى حوار مع نفسه ، وإذا صمت تَرَقَّب الآخرون فى شوق ولهفة إلى ما سوف يقول ، وإذا قال تطلعت إليه الأنظار مبهورة بما يقول.

وهو الجامع للمتضاد من الصفات ، فمع تواضع النفس العزة والأنفة ، ومع رهافة الحس جسارة القلب ، ومع شيخوخة البدن تجد روح وحماسة الشباب ، ومع هدوء النفس تجد ثورتها وفورانها عند استشعار الخطر أو الانحراف عن المسار الصحيح.

وهو البار بأهله وعشيرته ، حيث وجدت قريته الصغيرة سلوا مكانا لها فى قلبه ووجدانه ومشاعره وأفكاره ، فجعل من تربية الطفل فيها موضوعا لرسالته للدكتوراه.

وهو البار بمصريته ، حيث جعل من هموم وطنه ومشكلاته همومه ومشكلاته ، وهو البار بعروبته ، حيث جعل منها " حضارة وثقافة ، ولسانا ووحدة ، وواقعية محركة ، وغاية تُبتغى ، ساعيا لتأصيلها ، مؤكدا على أنها المحيط الطبيعى للحركة المصرية ، لا تكتمل إلا به ، ولا فاعلية له إلا بها "[(١)] .

وهو البار بأستاذيته وتلاميذه ورفاقه فى العمل ، فجعل من الأستاذية طاقة نور يُهرع إليها من يود الاستفادة والاستزادة ، ونبعًا يفيض علمًا ، وقلبًا يتسع لكل مريد جادٍ. وجعل من التلمذة شوقًا ذاتيًا وسعيًا من طالب المعرفة. وهو الملاذ للرفاق عندما

تضل بهم الطريق ، والحكم بينهم عندما تختلف الرؤى ، والمرشد عندما تشتط بهم السبل ، والدفء عندما يستشعرون برودة الزمن الردىء[٢] .

وهو البار بمحافل العلم وتجمعاته وجماعاته ، فهو الموجود دائما ، وهو - مدَّ الله فى عمره - أول الحاضرين ، وآخر المنصرفين ، وأول المستمعين ، وآخر المتحدثين.

وهو فى كل هذا "يستهدى بشراع قيمى متآزر متناسق ، تتدفق فى عروقه حيوية الصحة والسلامة والسوية"[٣] وينطلق من عقل صافٍ مدّضرب على توليد الأفكار الناضجة الناقدة الملتهبة حماسة وفتوة ، المصوغة فى أسلوب أخَّاذ جذَّاب يجمع بين الجدة والفكاهة المحببة إلى النفس. فيه تتجمع سمات الأسلوب السهل الممتنع ، الذى لا يقدر عليه إلا من أوتى صفاء الذهن ، وعمق الإحاطة بالفكرة والتذوق لمفردات اللغة والانتقاء الجيد لألفاظها وعباراتها ، ومن ثم تتناغم الأفكار مع التراكيب والألفاظ ، فتخرج الفكرة فى قالب لغوى لا يتسع إلا لها ، ولا توضع إلا فيه.

إلى آخر هذه الخصال والصفات التى وضعت بذورها فى طفولته وصباه ، ونضجت بنضجه ، ونمت بنموه ، وكبرت معه ، وامتدت به ، وامتد بها إلى آفاق أرحب وأوسع ، حتى صارت سَمْتًا له ، ومن أهم سماته التى بها يتفرد ، وعن غيره يتميز.

وهنا نقول إنه يغلب على هذه الكلمات - كما هو واضح منها - غلبة المشاعر الذاتية، مما قد يُعَدّ خروجًا على المألوف العلمى فى موقف يفرض الالتزام به وعدم الخروج عليه ، ولكن قد يشفع لنا أننا نتعامل مع شخصية تحولت لديها الذاتية - لنضجها وعمقها - إلى موضوعية ، والموضوعية - لتفردها وتشبعها بروح الأستاذ - إلى ذاتية ، وبات كلامه العادى علمًا ، وعلمه كلامًا عاديًا. وهذه نعمة من نعم الله يختص بها بعضًا من عباده ممن أوتوا العلم والحكمة.

لكل هذه الاعتبارات وغيرها وجدنا أنه من حق الأستاذ علينا إلقاء الضوء على بعض جوانب الإبداع لديه ، بيانا للناس وهدى.

لكن يجدر بنا المضى فى بيان ما نودُّ طرحه أن نشير إلى أمرين هامَّين :

الأمـر الأول : أنه من الصـعب على كـاتب فـرد أن يلم بكل جـوانب الإبداع لدى الأستاذ ، فالأمر أكبر منا ومن غيرنا ، ويحتاج إلى فريق عمل ، ومن ثم لا نملك إلا التجوال فى رحابه ، وتقليب بعض أوراقه، والتقاط بعض أفكاره ، للتعرف على بعض من جوانب الإبداع فيها.

الأمر الآخر: أننا فى تناولنا لبعض هذه الجوانب ننطلق من مفهوم معين للإبداع ، وهو المفهوم الذى طرحه مراد وهبة ، حيث يحدد الإبداع بأنه " قدرة العقل على تكوين علاقات جديدة من أجل تغيير الواقع "(٤) .

وهذا يشير إلى أن من أهم خصائص المفكر المبدع أن يكون قادرا على تحليل الواقع ونقد العلاقات السائدة ، والكشف عن علاقات جديدة تستهدف تغييره ، وتتخيل ما يمكن تحقيقه فيه ، وفق رؤية مستقبلية واضحة لما سوف يكون عليه الوضع القادم كبديل للوضع القائم (٥) .

على هذا الأساس ، وعلى ضوء هذا التعريف ، وهذه الخصائص نتناول بعض جوانب الإبداع فى فكر أستاذنا الدكتور حامد عمار.

ويحسن بنا أن نستهل بيان هذه الجوانب بإلقاء الضوء على التكوين الثقافى للأستاذ لأهميته فى الكشف عن الكثير من جوانب الإبداع لديه.

التكوين الثقافى لحامد عمار :

التكوين الثقافى عملية متصلة بالفرد ، مستمرة معه طوال حياته ، وإن كانت فى هذه المراحل الأولى أكثر عمقا وتأثيرا ، أو على حد تعبير أستاذنا الدكتور حامد عمار " إنه متصل مع المرء ويه من المهد إلى اللحد ، وإن كانت للأجواء التى يعيشها خلال مراحل الطفولة والشباب آثارها العميقة ، وذلك فى خلال الإطار المناخ العامٍّ بتموجاته وحدوده وفرصه " (٦) .

وهذا ما حدث بالنسبة إلى التكوين الثقافى للأستاذ حيث يقول : " ومن ثم لم يكن مناص من أن يتأثر تكوينى بالنقلات الحضارية التى عايشتها من سلوا إلى سوهاج إلى القاهرة إلى لندن، من أوائل العشرينيات إلى أوائل الخمسينيات ، وأن تتفاعل طاقتى مع عوامل المصادفة المحضة ، ومعاناة الاستجابة الملائمة للموقف، والإفادة من فرص التمدرس فى مختلف المؤسسات التعليمية. وبحمد الله تسير القافلة وتتجدد الاستجابات لأمواج الحياة ، بكل ما فى بحارها من مد وجزر "[٧] .

إذن نحن أمام رحلة طويلة بطول عمر الأستاذ – مد الله فى عمره – تخللتها عوامل المصادفة والمعاناة ، وكان لها تأثيرها العميق فى تكوينه الثقافى.

وعلى الرغم من أهمية كل دقائق وتفاصيل هذه الرحلة الطويلة فى التكوين الثقافى للأستاذ فإننا – للإيجاز – نكتفى بالوقوف عند بعض المحطات ذات الأهمية فى تشكيل اتجاهاته ، وتحديد رؤاه وتصوراته ، ومنهجه المتميز فى التحليل والتفسير ، والارتباط بالواقع ، وغيرها من العناصر التى تَمَيَّزَ بها ، وفيها أوفى وأبدع.

وتُعتبر مرحلة الطفولة والصبا من المحطات الهامَّة فى حياة الأستاذ وتكوينه الثقافى :

وُلد أستاذنا الدكتور حامد عمار فى الخامس والعشرين من شهر فبراير عام ١٩٢١ ، أما المولد ومسقط الرأس فكانت قرية " سلوا " إحدى قرى محافظة أسوان ، والتى كانت نسياً منسياً لولا أن خلَّدها الأستاذ فى رسالته للدكتوراه.

وعنها يقول: كانت قمة فى العزلة والحرمان والنسيان ، مخنوقة بالجبل ، ضيقة المساحة الزراعية، منعدمة الخدمات ، مكتفية بذاتها ، معتمدة على نفسها ، منكفئة عليها ، ليس فيها من مؤسسات التعليم سوى الكُتَّاب ومدرسة إلزامية واحدة للبنين والبنات ، ومناخها الثقافى – لعزلتها ولضيق ذات اليد – قائم على الثقافة الدينية المحدودة ، ويعتز بمعارفه وخبراته فى الفلاحة وحكاياته المتوارثة "[٨] .

ومن الأعمال التى كان يقوم بها بعض أهالى القرية - وكان لها تأثيرها العميق فى وجدان الطفل حامد عمار - حراسة الجسور والشواطئ وصيانتها فى زمن فيضان النيل. ومبعث التأثير فى وجدان الطفل أن هذا العمل كان يقوم عن طريق السخرة ، بلا أجر ، وما كان يُعرف وقتها " بنظام الفردة " حيث يقوم عمدة القرية ومشايخ الحصص فيها باختيار بعض الأهالى للقيام بهذا العمل ، وكان معظمهم من الفقراء والأُجَراء ، وعمال الزراعة والذين لم يكن أمامهم من مفر إلا العمل أو الغرامة والسجن.

وكان لهذا النظام وما يحيط به من ظلم وجبروت تأثيره فى وجدان الطفل حامد عمار ، حيث غرس فيه بذرة أهمية قيمة العدل فى حياة البشر. كما كان لاستحسان مدرس التاريخ بمدرسته - لما يقوم به هذا الطفل من ربط بين نظام الفردة والسخرة فى حفر قناة السويس - تأثيره العميق فى حياته العملية ، حيث وضع البذرة الأولى للمنهج الذى اختطَّه لنفسه بعد ذلك ، والذى يقوم على الربط بين الخطاب النظرى ومعطيات الواقع من ناحية ، وأهمية التنظير المباشر من مفردات الواقع وحركته من ناحية أخرى(٩).

ولقد تربى الطفل حامد عمار فى بيت متوسط الحال اقتصاديا ، وإن كان ثقافيا أفضل حالا من غيره فى القرية ، حيث كان والده يعرف القراءة والكتابة ، قارئا للصحف ، مشجعاً طفله على مشاركة الكبار فى الاحتفالات الدينية ، وقراءة السيرة النبوية فى الاحتفال بالمولد النبوى الشريف ، وغيرها من الأمور التى غرست فيه توجُّهاً دينيا وإيمانا عميقا ، كما غرس فيه المناخُ الثقافى الذى عاشه فى القرية القيمَ التى كانت تشكل النموذج والمثال فى تلك الأيام ، ومن أهمها : قيم الأدب والطاعة ، واحترام الكبير ، وفلاحة الأرض التى ظل يشارك فيها حتى دراسته الجامعية (١٠) .

والتحق أستاذنا وهو فى سن الخامسة بكُتَّاب القرية ، وجمع بينه وبين المدرسة الإلزامية وهو فى سن السادسة.

ولقد كان للمصادفة تأثيرها فى المراحل التعليمية الأولى من حياة الأستاذ ،

فلقد التقى والده مصادفةً بأحد مدرسيه الذى أخذ يثنى ثناء جمًا على الطفل حامد عمار ونصح الوالد بضرورة إكمال تعليمه فى المدرسة الابتدائية بمدينة إدفو ، وقد كان ، حيث اجتاز بنجاح امتحان القبول بها ، وكان هذا فى العام الدراسى ١٩٢٧ / ١٩٢٨ ، وانتقل إلى المدينة ، ليشعر – لأول مرة – بالغربة ومرارتها ، وهو فى هذه السن الصغيرة ، حيث كان عمره وقتذاك سبع سنوات.

وتشاء المصادفة مرة أخرى – عن طريق أحد معارف الوالد – أن ينتقل الطفل حامد عمار إلى مدرسة أسوان الابتدائية ، ويظهر تفوقه فيها ، ويكون ترتيبه الأول فى الشهادة الابتدائية ، ليلقِّبه أهل قريته بلقب " أفندى " تمييزا له عن لقب " شيخ " الذى كان سائدا فيها وقتذاك[١١] .

وبحصوله على الشهادة الابتدائية دخل الصبى حامد عمار مرحلة جديدة من مراحل نموه وتكوينه الثقافى ، وهى مرحلة الدراسة الثانوية ، حيث إنه أصبح الآن مؤهلا لأن ينفذ إلى مدارس الأغنياء بمصروفاتها وتكاليفها المعيشية المرتفعة ، ولما لم تكن توجد مدارس ثانوية وقتها إلا فى عواصم المحافظات ، فإنه التحق بمدرسة فؤاد الأول الثانوية بسوهاج (القسم الداخلى) مؤثرا إياها على مدرسة قنا الأقرب إليه ، لارتفاع مصروفاتها [١٢] .

وكان عليه تدبير مصروفات المدرسة ، وتشاء المصادفة للمرة الثالثة أن يصدر قرار من وزارة المعارف بأن يدفع طلاب أسوان – تيسيرا لهم – ربع المصروفات (عشرة جنيهات كانت تساوى وقتها ثمن ربع فدان) ، فتمتع الطالب حامد عمار بهذا الإعفاء ، واستطاع لتفوقه وإثبات استمرارية فقره الاحتفاظ بالمجانية طوال حياته التعليمية[١٣] .

ولقد كانت مرحلة الدراسة الثانوية من المراحل الهامَّة فى التكوين الثقافى للأستاذ ، حيث بدأت تتضح مداركه ، وتنمو معارفه. واستطاع أن يمارس فى المدرسة الكثير من الأنشطة الرياضية والثقافية ، مُظهراً التفوق فيها. وعن هذا التفوق يقول الأستاذ : "لقد ولَّدت مشاعر التباين الاجتماعى فردا من ميكانيزم الاقتحام التعويضى ، وبخاصة

فى مجال الألعاب الرياضية التى كانت تمارَس وقتها عن طريق اشتراك نقدى خاص ، لكننى تفوقت فيها ، وأصبحت فى الفريق الأول للمدرسة فى كثير من الألعاب دون تكلفة أو رسم اشتراك[١٤] .

ولقد عايش الأستاذ فى هذه المرحلة المبكرة من حياته الأحداث التى كانت تموج بها البلاد آنذاك اجتماعيا وعلميا وسياسيا ، فاتسعت قراءاته للصحف والمجلات ، خصوصًا الحزبية منها ، والتى كانت الأكثر انتشارا بين الطلاب ، وأشدها إثارة للجدل والنقاش بينهم[١٥] .

كما شُغف بقراءة الكتيبات التى كان يصدرها - آنذاك - حزب مصر الفتاة عن الشخصيات الإسلامية والقيادات الوطنية. وشارك فى المشاريع التى كانت تهدف إلى تشجيع الصناعة الوطنية كمشروع القرش، وأتيحت له فرصة استقبال العديد من السياسيين، إلى آخر الأمور التى أسهمت بطريق أو بآخر فى تكوينه الثقافى ، خصوصًا السياسى منه، حيث بدأت تتبلور لديه - على حد قوله - بعض الاهتمامات بالقضايا السياسية التى كانت تموج بها الساحة المصرية فى ذلك الحين[١٦] .

كما أنه فى المدرسة الثانوية استطاع أن يحصل على الميزة التى كانت تُعطَى للمتفوقين فيها وتتمثل فى بعض الكتب لقراءتها فى العطلة الصيفية وتقديم ملخصات عنها ، مما أتاح له الاطلاع على الكثير من كتابات المفكرين أمثال طه حسين وحسين هيكل والمنفلوطى وغيرهم[١٧] ، مما عمل على اتساع مداركه وتنوع اهتماماته الثقافية والفكرية.

ولقد حدث للطالب حامد عمار وهو فى المرحلة الثانوية حدثان كان لهما أثرهما الهامّ فى تكوينه الثقافى :

الحدث الأول : تلك الزيارة التى قام بها لمدرسته الشاعر على الجارم - كبير مفتشى اللغة العربية آنذاك - وحدث أن أفاض الجارم فى شرح لفظة معينة قائلا للطلاب : إن الكتاب المقرَّر لا يحوى كل المعرفة ، وإنما هو بدايتها ، وعلينا أن نستكمل معارفنا من كتب وقراءات إضافية. وعن هذا يقول الأستاذ : وكان لهذا الحدث أهميته فى دفعى فى البحث عن المزيد من المعرفة خارج الكتب المقررة[١٨] .

أما الحدث الآخر فكان يتعلق بمقطوعة زجلية ألقاها أحد الطلاب فى حفل استقبال الأمير فاروق عند زيارته للمدرسة ، وأشاد فيها بالأمير ، وبعد انتهاء الحفل احتدَّ النقاش بين الطلاب حول مصداقية هذا الزجل ، ونوع النفاق الذى تضمنه. وعن هذه الحادثة يقول الأستاذ : " لقد غرست فى وجدانى ما يمكن أن يكون فجوة بين الخطاب الرسمى ومجريات الواقع وأحواله "(١٩) .

وانطلاقا من أهمية المصادفات فى المراحل الأولى من حياة الأستاذ فقد حدث وهو فى السنة الخامسة الثانوية أن أُلغيت المجانية تحت وطأة الأزمة الاقتصادية التى تعرضت لها مصر آنذاك ، وكان هذا يشكِّل معضلة كبيرة للوالد حيث سيُضطرّ إلى اقتطاع جزء آخر من أرضه لبيعه لمواجهة مصاريف المدرسة. وتشاء المصادفة – للمرة الخامسة – أن يمن الله بالشفاء على الملك فؤاد إثر عملية جراحية أُجريت له ، ويصدر قراراً بمنحة تعفى العشرة الأوائل فى كل مرحلة تعليمية من المصروفات ، وكان الطالب حامد عمار من هؤلاء العشرة(٢٠) .

واستطاع أن يحصل على شهادة البكالوريا (الثانوية العامة) بتفوق ، وكان من بين العشرة الأوائل ، وينشر اسمه لأول مرة فى الصحف ، وكان ذلك عام ١٩٣٧(٢١) .

وبحصول الطالب حامد عمار على البكالوريا ينتقل إلى مرحلة ثالثة من مراحل تكوينه الثقافى ، وهى مرحلة التعليم الجامعى. حيث التحق بجامعة فؤاد الأول ، وآثر الالتحاق بكلية الآداب لانخفاض مصروفاتها عن كلية الحقوق ، وتخصص بعد السنة الأولى فى التاريخ ، وكعهده فى المراحل السابقة استطاع الاحتفاظ بالمجانية فى الجامعة لتفوقه ، واستمرارية إثبات فقره .

وفى كلية الآداب تلقَّى العلم على أيدى أساتذة كبار من أمثال إبراهيم مدكور وأبو العلا عفيفى وسليمان حزين ومصطفى عامر وعبد المنعم الشرقاوى ومحمد مصطفى زيادة وأحمد بدوى وسامى جبرة وياهور لبيب وعزت عبد الكريم وحسن إبراهيم وإبراهيم نصحى وسهير القلماوى وشوقى ضيف ، وغيرهم. كما كان – على حد قوله – يختلس بعض الوقت لسماع طه حسين وأحمد أمين فى قسم اللغة العربية(٢٢) .

وكان من بين زميلاته الدكتورة سيدة الكاشف (أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة عين شمس) التي كان لها تأثيرها في اتجاهاته الإيجابية نحو الجنس الآخر ، حيث يقول : وفي الجامعة ترسخت على مدى سنوات قيمة التواصل مع الجنس الآخر ، وتقدير إمكانياته وطاقاته مع الذكور حين ألفيت ما لزميلتي (سيدة الكاشف) في قسم الامتياز من عقل راجح وشخصية واثقة معتزة ، وقدرة على المثابرة والتفوق على زملائها في الأقسام الأخرى "(٢٣) .

ولقد أتاح له وجوده في الجامعة العديد من الفرص لممارسة الكثير من الأنشطة وتذوق الفنون ، كما كان من الرواد الدائمين للمكتبة ، خصوصًا وأنه كان يدرس مقررات إضافية كانت تقرر - إلى جانب المقررات العامة - على من يحصل على تقدير ممتاز خلال سنوات الدراسة ، حتى يمكنه الحصول على درجة الليسانس الممتازة، الأمر الذي أتاح له الفرصة لأن يقرأ للكثير من الكتّاب والمفكرين في مختلف المجالات والميادين.

وفي الجامعة شارك في الحياة السياسية التي كانت تموج بها مصر آنذاك رافعة شعار "الاستقلال التامّ أو الموت الزؤام" ، مما كان له تأثيره في تكوينه السياسي . يقول : " لقد أثرى ثقافتي السياسية ما عايشته من خبرة مع معظم الأحزاب والجماعات السياسية في فترة الجامعة"(٢٤) .

وحصل أستاذنا على درجة الليسانس الممتازة ، تخصص التاريخ في كلية الآداب جامعة فؤاد الأول ١٩٤١ .

وبعد حصوله على درجة الليسانس التحق بمعهد التربية للمعلمين ، لينتقل بذلك إلى آفاق معرفية جديدة ، ويلتقي بعمالقة أساتذة التربية وعلم النفس ، من أمثال القباني والقوصي وفؤاد جلال ، لتتكشف أمام الأستاذ ساحات جديدة للمعرفة والتنظير والتطبيق والهوايات. ومن المعهد حصل على دبلوم في التربية عام ١٩٤٢ ، ثم عمل مدرسًا بمدرسة قنا الابتدائية لمدة عام واحد (١٩٤٢ / ١٩٤٣) ، ثم انتقل إلى القاهرة ليعمل مدرسا بالمدرسة النموذجية بحدائق القبة (من عام ١٩٤٣ إلى عام ١٩٤٦).

واستطاع خلال عمله بالمدرسة أن يسجل لدرجة الماجستير فى التاريخ ، تحت إشراف الدكتور محمد مصطفى زيادة ، وكان موضوع الرسالة " علاقة مصر المملوكية بالدول الإفريقية " .

مما أتاح له فرصة قراءة مؤلَّفات المقريزى والسيوطى وابن خلدون وابن إياس وابن بطوطة وغيرهم. ولقد استطاع خلال إعداده للرسالة أن يكشف عن مخطوطة فى دار الكتب كتبها – على وجه الترجيح – ابن خلدون بعنوان " التعريف بابن خلدون " ، ولقد حصل على الرسالة عام ١٩٤٥ من قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول[٢٥] .

ولا شك أن إعداد الأستاذ لهذه الرسالة قد أضاف إلى تكوينه الثقافى أبعادا جديدة تتعلق بالتاريخ وأهمية دراسته وتوظيفه فى التحليل العلمى للقضايا والمشكلات المعاصرة.

ولكن مع هذه الرسالة – على حد قوله – انقطع عهد الأستاذ بصناعة التاريخ ، لينتقل إلى صناعة التعليم[٢٦] ، وذلك عندما سافر إلى لندن فى بعثة فى أصول التربية عام ١٩٤٥ .

ومن معهد لندن للتربية عام ١٩٤٩ حصل على درجة الماجستير فى موضوع "عدم تكافؤ الفرص التعليمية فى مصر" ، ثم على الدكتوراه عام ١٩٥٢ فى موضوع " التنشئة الاجتماعية فى قرية سلوا " .

وبحصول الأستاذ على رسالته للدكتوراه يكون قد قطع الشوط الأكبر من تكوينه الثقافى ، ليبدأ شوطا آخر أو مرحلة جديدة من حياته ، مرحلة ما بعد التشكيل والتكوين ، مرحلة العمل والعطاء والانطلاق إلى آفاق أبعد وأرحب فى الكثير من المجالات والميادين.

فلقد شغل أستاذنا العديد من الوظائف والمناصب ، وأسهم فى الكثير من الأعمال الإنشائية ، وشارك فى الكثير من المؤتمرات والندوات العلمية ، هذا إلى جانب إنتاجه العلمى الأصيل منهجاً وموضوعاً.

وتقديرا لدوره المتميز فى مجال تنمية الموارد البشرية استطاع فى عام ١٩٥٥ أن يفوز بجائزة دولة الكويت فى هذا المجال.

وتتويجًا لجهوده المتميزة وعطائه الممتد وفكره المبدع الخلاق كرمته الدولة بمنحه جائزتها التقديرية فى العلوم الاجتماعية لعام ١٩٩٦ ليكون ثانى اثنين من التربويين يحصلان على هذه الجائزة ، حيث سبقه فى الحصول عليها أستاذنا الجليل المرحوم الدكتور عبد العزيز القوصى.

والآن نصل إلى استجلاء بعض جوانب الإبداع فى فكر أستاذنا الدكتور حامد عمار منهجًا وموضوعًا.

أولا : المنهج الفكرى لحامد عمار :

اختطَّ أستاذنا الدكتور حامد عمار لنفسه منهجا فكريا متميزا ، وُضعت بذوره الأولى فى طفولته وصباه ، ثم نما بنموه خلال سنوات التشكيل والتكوين الثقافى ، وامتد به مغذيا ومعمقا له خلال سنوات الخبرة والعطاء.

ويتمحور هذا المنهج حول الواقع الاجتماعى ، واتخاذه المرتكز الأساسى لكل التحليلات والتفسيرات وعمليات التنظير لمختلف القضايا والمشكلات ، انطلاقا من إيمان عميق لديه بأن ثمة ارتباطا وثيقا بين الفكر والواقع ، وتفاعلا بينهما ، وتغذية مرتدة تقوِّى كلاً منهما وتشد أزره ، أو تضعفه وتعمل على تخلفه. وكل هذا يتوقف على نوعية وقيمة الغذاء الذى يقدمه كل منهما للآخر.

وينطلق الأستاذ فى منهجه من توجه تتكامل عناصره وتنتظم فى خيط واحد يشدها جميعا ، هو خيط الالتزام الوطنى والقومى والإنسانى الذى يتغلغل فى كل كتاباته وحواراته ومناقشاته.

كما ينطلق فى منهجه من مجموعة من الرؤى والتصورات المستمَدَّة من خبرة عميقة بحركة التاريخ ، وفهم واعٍ للحاضر ، واستشراف واثق للمستقبل ، من هذه الرؤى والتصورات:

١ – فهمه لطبيعة الظاهرة الاجتماعية ، من حيث أنه لا يمكن فهمها أو تفسيرها إلا من خلال السياق المجتمعي الذى يحيط بها وتعمل من خلاله ، بكل ما ينطوى عليه هذا السياق من تنظيمات وعلاقات وتفاعلات. وقناعته – التى تدعمها حقائق العلم وشواهده – باختلاف منهج البحث فى هذه الظاهرة عن منهج البحث فى الظاهرة الطبيعية ، لاختلاف طبيعة كل من الظاهرتين[٢٧] .

من هذا المنطلق جاء تأكيده على ضرورة دراسة الظاهرة التربوية فى سياقها المجتمعى وبأساليب وطرائق تنبع من طبيعتها. كما جاء تأكيده على أنه لا يمكن تفهُّم النشاط التعليمى إلا من خلال تفهُّم الأطر السياسية والثقافية التى تنتجه والتى يسهم بدوره فى إنتاجها[٢٨].

٢ – فهمه لوظيفة العلم وما ينبغى أن يكون عليه هدفا ووسيلة ، فالعلم لديه ليس مجرد منهج للتفكير العلمى بأدواته ومنطقه ، وإنما يمثل رصيدا من المعطيات المتاحة فى زمان معين ، يتم الإفادة منه واستثماره فى مختلف مجالات الحياة العامة والخاصة ، ومن ثم تتوقف قيمة العلم لديه على مدى ما يمكن أن يحدثه من تغيير على المستويين الفردى والاجتماعى[٢٩].

٣ – فهمه لأهمية الثقافة القومية فى عمليات التنمية وتكوين الهوية[٣٠].

٤ – فهمه لإمكانيات النهضة العربية من حيث أنه لا يمكن لهذه النهضة أن تخطر فى طريق التقدم إلا على أساس عربى موحَّد يسعى لتنمية مطَّردة توفر الخبز والكرامة والحرية للإنسان فى إطار ثقافة أصيلة معاصرة ، معاصرة أصيلة[٣١] .

٥ – رؤيته لنوعية المجتمع الذى ينبغى أن نسعى لصياغته ، بحيث تكون مهمته توفير فرص العمل المنتج بأعلى درجة من الكفاءة ، والعمل المجزى جزاءً وفاقًا. وسداته إشاعة العدل الاجتماعى والتواصل والحوار الثقافى المتجدد والمجدد ، وإطاره ديمقراطية الحوار بين أفراده وجماعاته ومؤسساته ،

وحرية التعبير والتنظيم والتأثير والمشاركة فى صنع القرار، وتحمل مسئوليات الغنم والغرم فى تسيير الحاضر واستشراف المستقبل وصياغته[٣٢] .

٦ – رؤيته لدور التعليم فى صياغة هذا المجتمع من حيث ضرورة أن يعمل التعليم على تنمية طاقات الإنسان المصرى وتحريرها ، والتأكيد على المضامين والقيم التى ترسخ إرادة المواطن الفاعل، وقدرته على صناعة حاضره ومستقبله بالعلم والعقل والأنسنة ، وأن تكون المؤسسة التعليمية مسهمة فى صناعة الفكر المبدع ، أو نقطة البدء فى الممارسة والحركة الجدلية من أجل صياغة المجتمع الجديد والمتجدد[٣٣] . وغيرها من الرؤى والتصورات التى تشكل البناء الفكرى لأستاذنا الدكتور حامد عمار.

لكن من يتناول منهجه الفكرى لا يستطع أن يتجاهل بعض الجوانب التى كان له فيها الريادة وفضل السبق. من هذه الجوانب :

أ – استخدام المنهج الكيفى فى البحث التربوى :

لقد استخدم أستاذنا الدكتور حامد عمار هذا المنهج فى وقت مبكر من عمر البحث التربوى فى مصر ، وبالتحديد عام ١٩٥٢ ، حيث كانت تسيطر فيه – وما زالت – البحوث الإمبريقية بأساليبها وأدواتها التى تعتمد على الاستبيانات والحسابات الكمية ، والعمليات الإحصائية والمعادلات الرياضية وغيرها من الأساليب التى تستند على المفاهيم والافتراضات البراجماتية والوضعية. أما أستاذنا فقد استخدم فى هذا الوقت المبكر " المنهج الكيفى " خلال دراسته للدكتوراه عن التنشئة الاجتماعية للطفل فى قرية سلوا ، حيث اعتمد على الرؤية والسماع والملاحظة والمشاركة والمقابلات العميقة ، حتى أحلام الأطفال خضعت للتحليل والتفسير لديه بهدف تحليل العوامل الثقافية المرتبطة بعمليات التنشئة الاجتماعية[٣٤].

ب - الاهتمام بالتنظير النقدى للواقع :

فى الوقت الذى ساد فيه التنظير البراجماتى القائم على المنعة والصلاحية فى تقديم الحلول الآتية على المدى القريب ، وعلى ظواهر الواقع ومفرداته وجزئيات المستقبل ، اهتم أستاذنا بالتنظير النقدى الذى يسعى لنبش ما وراء ظواهر الأفكار والأحداث ، وسبر أغوارها خلال تكوينها التاريخى[٣٥].

ولقد وجد التنظير النقدى طريقه إلى فكر الأستاذ فى بواكير أعماله، ويتبين هذا بوضوح فى الدراسات التى ضمَّها كتابه " فى بناء البشر " الذى وضعه عام ١٩٦٣ ، حيث تناول فيه بنظرة نقدية واعية العديد من القضايا والمشكلات الثقافية والمجتمعية والتربوية ، طارحاً رؤاه وتصوراته حول ما ينبغى أن تكون عليه[٣٦].

ثم أصبح هذا المنهج هو السمة المميزة لتحليلات وتفسيرات الأستاذ فى كل كتاباته وحواراته ومناقشاته حول مختلف القضايا والمشكلات.

ولقد ترسخت فى وجدانه أهمية النظرة النقدية فى التربية منذ مدة طويلة ، وهذا ما قد يتضح من خلال الإشارة إلى :

جـ- تبنِّى الدعوة إلى قيام حركة نقدية للتربية فى مصر :

فلقد دعا إلى قيام هذه الحركة فى كتابه (فى بناء البشر) عام ١٩٦٣، وهو فى دعوته ينطلق من توجه معَّين يتلخص فيما يراه من أن النقد والنقد الذاتى ضرورة من ضرورات النظام التعليمى وتدعيمه فى المجتمع. كما أن النقد فى مجال الفكر التربوى ضرورة من ضرورات إثرائه وقيامه بدوره الهامٍّ فى العمل التربوى ، فالتفاعل بين الفكر والعمل حقيقة لا يمكن تجاهلها فى حركتنا الداعية فى التعليم وغير التعليم ، ومن يفصل بينهما فإنه يحصر نفسه فى قمقم من الفكر المجرد أو التطبيق القانع.[٣٧]

وعلى هذا الأساس يرى أنه لا بد أن تؤسَّس حركة للنقد التربوى فى مجتمعنا تحقِّق النمو عند المنتجين وتنشر الوعى وتعمقه لدى الجمهور فى الميدان.

لكن ينبغى أن لا تستهدف عملية نقد الإنتاج التربوى المشتغلين والمتخصصين فى التربية نفسها فحسب وإنما لا بد أن تستهدف أيضا المشتغلين والمتخصصين فى فروع المعرفة الأخرى، وبالتالى تصبح حركة النقد أداة من أدوات التكامل المعرفى بين المشتغلين بفروع العلوم والميادين الاجتماعية الأخرى حتى لا يكون الجانب التربوى غريبا لا يعى أمره ولا يحفل بقيمته إلا المتخصصون فيه. وعلى هذا النحو يصبح النقد رافداً يغذِّى مناشط المعرفة المختلفة كما يغذى الفكر نفسه(٢٨).

ومن اللافت للنظر ، والمثير فى الوقت نفسه ، أن أستاذنا الدكتور حامد عمار فى هذه الفترة المبكرة من حياته تناول بالنقد العديد من المفاهيم السائدة فى معارفنا التربوية والنفسية . من بين هذه المفاهيم مفهوما الذكاء والقدرات العقلية ، وذلك فى إطار دعوته إلى مراجعة الكثير من القضايا والمسلَّمات التى تدخل فى معاملاتنا ونظرتنا إلى الناس وأحكامنا بطريقة شعورية أو لا شعورية ، ولقد قام أستاذنا بنقد مفهومَى الذكاء والقدرات العقلية فى ضوء الارتباط بين الفكر والأوضاع الاجتماعية السائدة.

وقد خلص من مناقشاته إلى غموض هذه المفاهيم ، والتشكك فى قيمة الاختبارات التى تقيسها والنتائج التى تُوَصِّل إليها. كما أن هذه المفاهيم - شأنها فى ذلك شأن مفاهيم الطبيعة الإنسانية الأخرى - جاءت نتيجة لتنظيمات فكرية معنوية تعطى الحركات والنظم الاجتماعية السائدة فى مجتمع معين أو فى عصر معين سندا ودعامة(٢٩).

وهنا نقول : إن هذه المفاهيم وغيرها مما هو واضح وثابت فى وجدان المتخصصين والمشتغلين بالتربية فى مصر وفى عالمنا العربى أصبحت الآن محل نقد شديد من جانب المدرسة النقدية فى التربية ، وهى المدرسة التى انتشرت أفكارها فى النصف الثانى من القرن الحالى وأثبتت وجودها وبقوة فى عقد الستينيات ، وأصبحت تكسب كل يوم أرضا جديدة بعد أن ثبت إخفاق وفشل الاتجاهات الوظيفية بمختلف فصائلها ، فى تحقيق ما كانت تدعو إليه من تطلعات وآمال.

الأمر الذى يدفعنا إلى القول بأن أستاذنا الدكتور حامد عمار يُعتبر من أوائل المبشرين باتجاهات هذه المدرسة فى التربية العربية ، واضعًا لبذورها الأولى ، متعهداً إياها بالعناية والرعاية فى الكثير من كتاباته ، حتى استوت على عودها فى السنوات الأخيرة.

يؤكد على هذا منهجه الفكرى فى تناوله للنظام التربوى وعلاقته بالسياق المجتمعى الذى يعمل من خلاله ، حيث يلتقى هذا المنهج – فى الكثير من جوانبه – مع التوجه العامٍّ لاتجاهات المدرسة النقدية فى التربية.

فمن المعروف أن المدرسة النقدية تقوم فى نظراتها وتصوراتها على ذلك التقاطع والتفاعل بين النظام التربوى والنظام السياسى المجتمعى بمختلف مؤسساته وآلياته وقواه الاجتماعية وشرائحه الطبقية ، فهناك علاقة جدلية بين هذه النظم تجعل من النظام التعليمى بآلياته المختلفة البِنْية الفوقية الأشمل فى المجتمع بتشكيلاته السياسية والاقتصادية ، وبالتالى تشكِّل هذه النظم انعكاسا لبِنْية هذه التشكيلات والقوى الاجتماعية المهيمنة فيه. وعلى هذا الأساس فإنه لا بد من النظر إلى النظام التعليمى بمختلف عناصره على أنه مرآة عاكسة لهذه القوى وبصماتها فى تشكيل المجتمع وتنظيمه وتحديد قواعده وحركة جماعاته وطبقاته [٤٠].

ومن ثم فإنه من باب تزييف الوعى أو من العبث – من وجهة نظر المدرسة النقدية – دراسة النظام التعليمى منعزلا عن سياقه المجتمعى ، وإنما لا بد من دراسته من خلال هذا السياق ، وما فيه من علاقات وتشابكات ، ولابد من التعرف على وظائفه وطرائق عمله فى داخل الأنساق الاجتماعية ذاتها دون ولا بد من على أحكام مسبقة[٤١].

خلاصة الاتجاه العامٍّ للمدرسة النقدية والذى نجد له صدى فى الكثير من كتابات أستاذنا الدكتور حامد عمار أنه يدور حول العديد من قضايا التعليم ومشكلاته ، وإن جاء تناوله لها فى إطار رؤية نقدية أكثر واقعية وارتباطا بالإمكانات الوطنية المتاحة والمحتملة ، وتقديرا للظروف والشروط الموضوعية المجتمعية والثقافية الموروثة والمعاصرة.

وهذا ما يمكن أن يتضح من خلال طرح نماذج من القضايا والموضوعات التى تناولها أستاذنا الدكتور حامد عمار فى العديد من كتاباته المتعددة والمتنوعة.

ثانيا : بعض النماذج للقضايا والمشكلات فى كتابات حامد عمار :

من الأمور اللافتة للنظر ، والتى تدعو إلى الإعجاب والدهشة فى نفس الوقت ، ذلك الكم الهائل من الكتابات التى قام – ويقوم – بها أستاذنا الدكتور حامد عمار ، فما زال – مدَّ الله فى عمره – متوهج العقل ، ثابت الخطى ، جزيل العطاء بدرجة يغبطه عليها كثير من الشباب والشيوخ.

ولقد حاول كاتب هذه السطور لاهثا أن يتتبع كل ما طرحه الأستاذ من أفكار ومن رؤى وتصورات ، لكن باءت محاولاته بالفشل ، لا عجزًا منه ولكن لإعجاز الأستاذ ، فالكتابات كثيرة متنوعة ثرية خصبة ، وفى مختلف المجالات والميادين ، مع الحفاظ على النوعية والكيف ، والانطلاق من موقف محدد والتزام لا يحيد عنه ، هو الالتزام بقيم العلم وأصوله ، وبقضايا المجتمع ومشكلاته على المستويين الوطنى والقومى العربى ، دون ركوب لموجة أو تجاوب مع تيار معين : نفاقًا وتزلُّفًا وادعاءً كاذبًا تحقيقًا لأغراض ومصالح شخصية.

إن الأستاذ يسعى لتحقيق أهداف كبرى تتمثل فى تحقيق العدل الاجتماعى بين البشر بالدرجة التى تجعلنا نقول : إن السعى لتحقيق هذه القيمة يشكل الغاية الأسمى والأبعد لكل كتابات أستاذنا الدكتور حامد عمار.

فى هذا الإطار – وبإيجاز شديد – نشير إلى نماذج لبعض القضايا والمشكلات التى تناولها الأستاذ بالدراسة والبحث ليتيقن لنا مدى جدته وأصالته فى اختيارها كموضوعات تحقق له ما يصبو إليه من غايات ، ومدى إبداعه بها تحليلا وتفسيرا وطرحا للرؤى والتصورات.

ويحسن بنا أن نصنف هذه القضايا والموضوعات إلى ما يتصل منها بقضية التنمية ، وما يتصل منها بالأبعاد المجتمعية والاقتصادية للتعليم ، وما يتصل منها بدور العلم فى التغيير المجتمعى ، وأخيرا ما يتصل منها ببعض المؤسسات التعليمية.

أ - قضية التنمية :

لقد تناولنا أستاذنا الدكتور عمار هذه القضية من زوايا وأبعاد متعددة ، ويأتى فى مقدمة ما تناوله مرتبطا بها ما يلى :

١- التنمية البشرية :

تُعتبر قضية التنمية البشرية من القضايا المحورية التى نالت الجزء الأكبر من اهتمامات أستاذنا الدكتور حامد عمار.

ولقد ظهرت بوادر هذا الاهتمام منذ عقد الخمسينيات عندما تناول قضايا تعليم الكبار وبرامج التدريب وأهميتها فى عملية التنمية.

ولكن يُعدُّ كتابه " فى بناء البشر " الذى صدر فى مطلع الستينيات من أوائل كتاباته المرتبطة ارتباطا مباشرا بهذه القضية ، حيث تضمَّن مجموعة من الدراسات التى كانت تدور فى الغالب الأعمِّ منها حول ما يحدث فى المجتمع من تغيرات ، وما تفرضه من مضامين ومطالب تربوية جديدة ، وتناول أيضا الثقافة الوطنية وما تنطوى عليه من إيجابيات وسلبيات، والتربية والنمط الاجتماعى للشخصية ، كما تناول فى هذا الكتاب مشكلة الأمية وكيفية التخطيط للتغلب عليها ... إلى آخر هذه الموضوعات المتعلقة بالتنمية البشرية ومتطلباتها وشروطها فى الواقع المصرى وفيما كان يجرى على أرض مصر من مختلف التحولات حجراً وبشراً ونُظُمًا[٤٢].

ومن يومها وسيل الكتابة لا ينقطع حولها ، وأصبح الشغل الشاغل للأستاذ هو

قضية بناء الإنسان العربى ، والتنمية البشرية فى إطارها الإنمائى والثقافى ، وفى أبعادها الوطنية والقومية.

كما تناولها من مناظير متنوعة تتخذ مقاربات متعددة ، منها ما هو اقتصادى أو تخطيطى أو ديموجرافى ، أو اجتماعى أو تعليمى أو ثقافى ، وذلك من خلال العديد من البحوث والدراسات العلمية الجادة والهامة فى هذا المجال.

وفى هذا السياق لا بد أن نشير إلى مجموعة من الكتب التى أصدرها الأستاذ مؤخراً ، ويأتى فى مقدمتها كتابه عن التنمية البشرية فى الوطن العربى بجزأيه (الجزء الأول عن المفاهيم والمؤشرات والأوضاع ، وظهر عام ١٩٩١ ، والجزء الثانى عن الإحصاءات والوثائق ، وظهر عام ١٩٩٢) الذى يُعَدُّ أول كتاب عربى ظهر حول هذا الموضوع باللغة العربية(٤٣).

وكذلك كتابه " فى بناء الإنسان العربى " الذى ظهر عام ١٩٩٢ يضم العديد من الدراسات حول التنمية العربية البديلة ، والثقافة العربية والشخصية الاجتماعية ، والتربية العربية بين الجمود والتجديد ، والمرأة العربية إنساناً ومواطناً ، والرعاية الاجتماعية للإنسان العربى ، وفلسطين: تحرير الأرض للإنسان(٤٤) .

وأخيرا وليس آخراً سلسلة الكتب والدراسات التى تحمل عنوان "دراسات فى التربية والثقافة"، والتى تتضمن العديد من البحوث والمقالات والمراجعات التى ترتبط بطريق أو بآخر بقضية التنمية البشرية(٤٥).

ولسنا هنا بصدد طرح كل أفكار أستاذنا الدكتور حامد عمار حول قضية التنمية البشرية، وإنما تكفينا الإشارة إلى ما يقصده من هذا المفهوم وأهميته فى التنمية الشاملة وتحقيق العدل الاجتماعى.

يرى أستاذنا أن مفهوم التنمية البشرية جاء فى السنوات الأخيرة كرد فعل للتركيز السائد والأولوية المتقدمة - تخطيطا وتوزيعا واستثمارا - على النمو الاقتصادى ، والنظر إلى الناس - بل استغلالهم - على أنهم عناصر إنتاج ، كالأرض

ورأس المال ، وأن تحسين أحوالهم الاجتماعية إنما يتحقق فى المقام الأول من أجل زيادة الإنتاج وتطوير الكفاية والإنتاج لقوة العمل، ومن ثم أصبحت الجدوى الاقتصادية هى المبرر للإنفاق فى مجال الخدمات من أجل تنظيم الطاقات البشرية فى إنتاج السلع والخدمات ومختلف المنافع المجتمعية(٤٦) . لكن مع الإخفاق والفشل ، ومع استمرارية القصور والتشوه والإحباط فى عوائد النمو الاقتصادى للتنمية ، ظهر مفهوم التنمية البشرية ليحقق التوازن بين بناء الحجر وبناء البشر ، وبين تأسيس العمران وكرامة الإنسان ، وبين تنمية الطاقات الإنسانية فى كليتها – كهدف نهائى – وتوظيف البشر لطاقاتهم وإمكانياتهم المتنامية ، ومشاركتهم الفعالة فى الإنتاج ، وفى مختلف الأنشطة والمؤسسات السياسية والاقتصادية والثقافية والترويحية(٤٧).

فالتنمية البشرية تهدف إلى تنمية مختلف طاقات الإنسان – كل الإنسان ، وكل إنسان – حاضرا ومستقبلا ، والوصول بتلك الطاقات والقدرات إلى أقصى ما يمكن أن تبلغه من معارف وقدرات ومهارات ، ووضع المفهوم الاقتصادى للإنسان فى سياق أرحب للكائن البشرى فى تعقُّد وتشعب إمكاناته وحاجاته البيولوجية والمجتمعية ، وتطلعاته المستمَدَّة من ماضيه فى حاضره ، تطلعا إلى مستقبله ، ومن كونه منتجا ومستهلكا ، مرسلا ومستقبلا ، يدرك بحواسِّه كما يتصور بخياله ، طلقة محكومة وحاكمة ، بل هو فوق هذا كله خليفة الله فى أرضه ومسئول عن عمارتها بالحق والعدل(٤٨).

والتنمية البشرية بهذا التحديد كما يرى الأستاذ لها مقاصدها الإجرائية التى تتلخص فى تحقيق حياة إنسانية كريمة ، وإكساب الفرد الثقافة المشتركة بمختلف عناصرها ، والتدخل الفعّال بينه وبين مجتمعه ، والمشاركة الإيجابية فى صياغة حركة المجتمع ، وتوسيع قاعدة فرص العمل المنتج والمجزى والمقنع ، وإشاعة العدل الاجتماعى من حيث استحقاق المواطن لثمرات التنمية وربط الجزاء بالعمل ، وغيرها من المقاصد التى تؤكد على إنسانية الإنسان ، واعتباره " الهدف " لا مجرد إنسان "المورد"(٤٩).

ويرى أستاذنا أن تحقيق التنمية البشرية وتحقيق مقاصدها وفق هذا الفهم إنما يتوقف على مدى ما يتيحه المجتمع من موارد للفرد والجماعة ، ومن أهمها الموارد المادية والاقتصادية ، والاجتماعية والسياسية ، والدفاع والحفاظ على الأمن ، والرصيد المعرفي والثقافى وتجديده ونشره ، مع أهمية استمرارية هذه الموارد ، واستمرارية إنتاجها ، والانتفاع بها وحسن توزيعها بين مختلف المناطق والشرائح الاجتماعية من السكان(٥٠).

ولقد حاول أستاذنا الدكتور حامد عمار التعرف على أوضاع التنمية البشرية فى ضوء بعض المؤثرات الكمية والكيفية ، وخلص إلى أن هناك قدرا من الإنجاز والتحسن عبر مسيرة الجهد الإنمائى فى بعض المجالات ، بينما لا تزال هناك مجالات أخرى تعانى التردى وتنذر بمخاطر التشوه والاضطراب ، ولا بد من تدارك الخطر ، بالسعى المتواصل لتجاوز عوائق الركود والجمود ، وامتلاك طاقات الحيوية والتجديد(٥١) . هذا فيما يتصل بمفهوم التنمية البشرية كما يراها أستاذنا الدكتور حامد عمار.

وجدير بالذكر فى هذا المجال أن الأستاذ يُعتبر من أوائل من استخدموا هذا المفهوم ، على أساس أنه يتضمن المزاوجة العضوية بين تنمية طاقات الإنسان فى مقومات كيانه المختلفة من أجل إشباع حاجاته الإنسانية المتميزة. كما يتضمن هذا المفهوم تعظيم القدرة على الانتفاع بتلك الطاقات من خلال فرص العمل ومستوياته فى الكفاءة والإبداع بما يحقق النفع للفرد والمجتمع ، ويجعل من الإنسان مورداً هاماً من موارد الإنتاج. ويعطى الفرصة للتعليم والمؤسسات الاجتماعية والثقافية لأن تشارك وبفاعلية فى تكوين القوى العاملة فى معارفها ومهاراتها وسلوكياتها.

من هذا المنطلق يدعو الأستاذ إلى ضرورة مراجعة أنماط التنمية العربية من أجل تغليب قيم الوفاء بالحاجات الإنسانية، وتحقيق الغايات الاجتماعية، واستثمار الموارد المعنوية والروحية على تلك القيم الاقتصادية التى تجعل من سلطة المال وإدارة مؤسساته آليات للسيطرة على السياسات والأنشطة المجتمعية، وعلى المواطنين أنفسهم ، منتجين كانوا أو مستهلكين ، حيث إن مراجعة أنماط التنمية فى ضوء متطلبات التنمية

البشرية يمثل بديلا أساسيا لضمان تنمية معتمدة على الذات، ومقاربة رشيدة على المدى الأبعد لتجاوز مرحلة التخلف الاجتماعى فى الوطن العربى ، وكسر طوق التبعية ، وكف اليد عن الامتداد لطلب المعونات الأجنبية للمواجهات المؤقتة للأزمات الاقتصادية والاجتماعية فى بعض الأقطار العربية(٥٢).

٢ - الثقافة الوطنية والثقافة العربية :

فى مطلع الستينيات ، وفى كتابه " فى بناء البشر " تناول أستاذنا الدكتور حامد عمار الثقافة الوطنية المصرية ، ناقدا لها ، طارحا أهم المقومات التى ينبغى أن تقوم عليها ، مبينا دور التربية فى تشكيل هذه المقومات.

ومن بين ما أوصى به الأستاذ فى هذا الصدد ضرورة النظرة الرشيدة إلى تراثنا وتنقيته مما يشوبه من عقد وتعصب وكل ما يعوق انطلاقه ، وضرورة التخلص من الصراع الثقافى بين الاتجاهات اللفظية الشكلية وما يرتبط بها من مجردات فكرية وتنظيمات صورية ومظاهر سطحية، والاتجاهات اللازمة لبناء المجتمع والتى تنطلق من فكر موضوعى تحليلى لا يُعنى باللفظ قدر عنايته بالواقع بتضاريسه وحركته(٥٣).

ويرى الأستاذ أن الثقافة المصرية لا بد أن تكون ثقافة وطنية إنسانية ، روحية أخلاقية علمية، يتفاعل فيها الفكر مع التجربة(٥٤) .

وهذا يتطلب من التربية التعامل مع مفردات الواقع ، والمشاركة الواسعة العميقة فى تشكيل هذه الثقافة ، ورفع وعى الجماهير ... باختصار لا بد أن تشارك التربية وبفاعلية فى صياغة ثقافة المجتمع الجديد(٥٥).

أما عن الثقافة العربية فقد تناولها الأستاذ بعد ذلك - وبصفة خاصة فى السنوات الأخيرة - فى العديد من مؤلفاته كردٍّ فعل لتلك الهجمة الانفصالة الإقليمية التى تعرضت لها الأمة العربية ، وانحسار المد القومى منذ عقد السبعينيات وما

صاحبه من تفسخ فى النسيج العربى ، وما نجم عن ذلك كله من تردٍّ فى أحوال الإنسان العربى وإمكاناته نمواً وتحرراً وطاقة ، مما دفع بالأستاذ إلى الالتفات إلى البعد القومى العربى إيمانا منه بحتمية هذا البعد وتوضيح مقوماته الفكرية والثقافية من أجل أن تتوافر الشروط اللازمة لبناء الإنسان العربى وتحريره فكرا وعملا[٥٦].

وفى هذا المجال يقدم لنا أستاذنا الدكتور حامد عمار نقدا موضوعيا للثقافة العربية الراهنة ، ورؤية واعية لما ينبغى أن تكون عليه ، حيث يرى ضرورة أن تتخلص هذه الثقافة من علاقات التبعية والاعتماد على المجتمعات المصنعة ، وهذا يفرض عدم التسليم المطلق بخيارات تلك المجتمعات التى اصطنعتها فى ضوء ظروفها التاريخية والموضوعية الخاصة بها، والانطلاق فى تفكيرنا وخياراتنا من الواقع العربى وتفاعلاته وأزماته ومشكلاته ، فمن الواقع تبدأ الحلول فى التبلور دون اللجوء إلى حلول جاهزة مستوردة.

إن كسر طوق التبعية ، وإتاحة الفرصة للتعبير الحر لمختلف الاتجاهات ، وممارسة منهج التفكير العلمى الحر فى تدبير أمور حياتنا ... هى المنطلقات الأساسية للتجديد والتكامل الإيمانى والثقافى ، باعتباره طاقة دافعة تتجاوز مجرد حاصل جمع الأجزاء ، إذا ما أُحسِنَ التخطيط لهذه الطاقة ، بيد أن واقعنا الرهن يشير إلى أن حاصل جمع الأجزاء هو أقل طاقة من الجزء أو بعض الأجزاء ، وفى كل الأحوال لن يتحقق التكامل العربى إلا إذا اعتمدت ثقافتنا على إرادة التغيير ، ولا بد أن يحدث هذا دون تردد[٥٧].

من هذا المنطلق يؤكد أستاذنا على أهمية القيم الثقافية فى عمليات التنمية الشاملة ، فهى الطاقة المحرِّكة (أو المعطِّلة المشوِّهة) لمحاور التنمية الأخرى ، وكل هذا يتوقف على نوعية القيم ، وما يتحقق فيها من وفاق أو من تناقض وتموجات.

فإذا أردنا أن تكون هذه القيم من الطاقات المحرِّكة فلا بد أن يتوافر أكبر قدر من الاتساق بين قيم الأفراد والجماعات والمؤسسات وأكبر قدر من عدالة التوزيع والتشارك فى الانتفاع بعوائدها.

فبقدر احتواء التناقض أو جعله محدودا فى حجمه ونوعه يكون التوازن واستمرارية تحقيق القيم الثقافية لوظائفها الاجتماعية فى دافعية المجتمع وإنماء الفرد(٥٨).

٣ - الشخصية الاجتماعية المصرية والعربية :

تناول أستاذنا الدكتور حامد عمار بالدراسة الشخصية الاجتماعية المصرية فى كتابه "فى بناء البشر" فى مطلع الستينيات وفى السنوات الأخيرة ، وفى العديد من مؤلفاته ، تناول الشخصية العربية.

وعلى الرغم من التباعد الزمنى بين تناوله لكلتا الشخصيتين فإن الهدف من تناوله لهما والدافع إليه يكادان يكونان واحدا ، ويتلخص فى التأكيد على أهمية البعد الإنسانى فى عمليات التنمية، وإحداث التغيير المنشود ، وضرورة أن تأخذ عمليات التخطيط الإنمائى فى اعتبارها واقع الشخصية والسلوك الاجتماعى وتأثيرها فى هذه العمليات.

ففى دراسته للشخصية المصرية كان ينطلق من أن الاهتمام بدراستها يعتبر من ألزم الجوانب لاستكمال وصف المجتمع وصفا حيويا يعين المصلحين على إحداث التغيير المنشود وتقدير نتائجه(٥٩).

وانطلق فى دراسته للشخصية العربية من نفس التوجُّه حيث يرى أن دراسة الشخصية الاجتماعية العربية تعتبر من ألصق الدراسات الساعية لإدخال الإنسان فى جوهر عملية التخطيط الإنمائى ، فعن طريق تحليل مكونات الشخصية وواقعها ومجالات تطويرها من خلال المتغيرات الإنمائية المدروسة تصبح مثل هذه الدراسات أداة من الأدوات التطبيقية لإحكام التفاعل بين مقومات التنمية المادية وتكوين الإنسان هدفًا ووسيلة ، صانعًا ومستفيدًا ، مؤثرًا ومتأثرًا(٦٠).

وهو فى تناوله لكلتا الشخصيتين يؤكد على أن نمط الشخصية الاجتماعية هو

نتاج أو محصلة لبُعْدَى الزمان والمكان ، وعناصر الحضارة المادية والاجتماعية والسلوكية[٦١] ، وأن هذا المفهوم يتجاوز مظاهر السلوك الفردى والفروق الخاصة فى الأمزجة والمشاعر[٦٢] .

غير أن الأستاذ فى تناوله لكلتا الشخصيتين يختلف بعض الشىء. ففى دراسته للشخصية المصرية اعتمد على التحليلات الوصفية أو الأوصاف التحليلية فى تنميطه لسلوك الشخصية المصرية فى صورة " الفهلوى " وما أورده من سمات للسلوك الاجتماعى لنمط هذه الشخصية حيال بعض المواقف الاجتماعية[٦٣].

وعن هذا المنهج يقول الأستاذ ناقدا له : إنه منهج سطحى لا ينفذ إلى الأعماق أو ما وراء الوصف العامٍّ ، كما أنه لا يرتبط بخلفياته وتركيباته بالمنظور الحضارى العامٍّ ولا بحركة القوى التاريخية المؤثرة فى الظواهر الموصوفة فى صعودها وهبوطها أو تموجاتها أو مسيرتها وتغيراتها . ورغم أننى حاولت جاهدا أن التزم منهج الموضوعية العلمية فإن الدراسة جاءت موقفا فكريا يتسم بقدر من الاجتزاء والذاتية ... "[٦٤].

ولهذا دعا الأستاذ عند دراسته للشخصية العربية إلى ضرورة أن ترتكز على الإطار المجتمعى الكلى وتفاعلاته ، باعتباره المنهج الديناميكى للدراسة، وهو – وإن كان أكثر تعقيدا وتشابكا – أقوى تجسيدا وأعمق سبرا للقوى والعوامل المجتمعية وعلاقاتها ووظائفها"[٦٥].

ولقد خلص أستاذنا الدكتور حامد عمار من تحليلاته ودراساته للشخصية المصرية إلى أن هناك نمطا اجتماعيا سائدا لهذه الشخصية هو نمط " الفهلوى " بما يتصف به من قدرة على التكيف السريع والنكتة المواتية وتأكيد الذات والنظرة الرومانتيكية إلى المساواة والطمأنينة إلى العمل الفردى وتحقيق الهدف بأقصر الطرق[٦٦].

وبعد كشفه لما يعانيه هذا النمط من مثالب ونقائص اقترح نمطا اجتماعيا للشخصية الجديدة المنشودة ، وهو ما أطلق عليه نمط " الشخصية المنتجة " التى تتسم

بالتعقل الوظيفى الواعى ، القادرة على الإنتاج فى مختلف المجالات(٦٧).

ثم استعرض بعد ذلك المواقف التعليمية المختلفة التى يمكن أن تنعكس فيها أنواع التشكيل لشخصية الفهلوى كما تبدو فى المدرسة وطرائقها التعليمية ، وكما تبدو فى القوى التعليمية فى المجتمع خارج المدرسة ، كما قام بتجديد الوسائل التى يمكن بها تحويل هذه المواقف إلى مؤثرات تقوم بتشكيل الشخصية المنتجة(٦٨).

أما بالنسبة إلى الشخصية العربية فقد طرح العديد من العناصر الموضوعية اللازمة لدراستها ، ويأتى فى مقدمتها الثقافة والتراث ، باعتبارهما البعد الحى المتفاعل فى الحاضر وإيجابياته وسلبياته ، وفى كل جوانبه السياسية والفكرية والاجتماعية والروحية. وأن الحركة الواعية بظروف الحاضر تقضى الاستيعاب الموضوعى للتراث كاملا ، وعلى أساس فرضيات توصلنا إلى معرفة ذاتنا من خلال المسيرة التاريخية ، وما تبقًى من مؤثراتها فى الوجدان ومحركات السلوك والقيم، واستغلال هذا التراث التاريخى والسيكولوجى كمدخل أساسى لتحقيق الوحدة العربية باعتبارها ركيزة للتنمية وحماية النفس وصيانة للهوية من أن تضعفها مؤثرات وقوى التبعية السياسية والاقتصادية والتى تعوق حيويتها الذاتية ، وقدرتها الحقيقية على المعاصرة الخلاقة(٦٩).

ويرى الأستاذ ضرورة أن تنعكس المستلزمات الوحدوية للشخصية العربية فى أُطُر ومناهج دراستها. ومن أهم هذه المستلزمات عوامل التربية والتطبيع الاجتماعى والتثقيفى الحضارى ، وما يصدر عنها من استجابات وأفعال وردود أفعال ذات وتيرة منتظمة ومنظمة فى مواقف اجتماعية معينة مرتبطة بمقومات العمل العربى المشترك ، وما يتطلبه من معرفة واتجاهات ودوافع ومهارات(٧٠).

ويخلص الأستاذ بخلاصة تجمع ما بين الدراستين من أهداف وأغراض وهى ضرورة تحليل النظم والمؤسسات الحالية التى تعوق تحقيق الشخصية الاجتماعية المنشودة ، وضرورة التفكير والتدبُّر فيما تتطلبه مراحل التحول فى واقع السلوك والممارسات الحالية للشخصية الاجتماعية ، حتى يمكن صياغة معدلات جديدة فى هذه النظم والمؤسسات ، وتجسيدها فى مختلف الجبهات المؤثرة والمتأثرة بسلوك الإنسان ،

وبهذا نستطيع أن نرسم خريطة التحرك المجسَّمة للانتقال من نمط الشخصية الفهلوية إلى نمط الشخصية المنتجة(٧١).

وهنا نقول إنه من خلال تناول أستاذنا الدكتور حامد عمار للشخصيتين المصرية والعربية ، يشير هذا التناول – وإن كان في مرحلتين تاريخيتين متباعدتين نسبيا وفى ظل ظروف وشروط معينة – إلى التزام الأستاذ بمنهجه المجتمعى الذى يتميز به وقناعته الدائمة والمستمرة بدور الإنسان فى التنمية صانعا وهدفا لها. وهذا الالتزام وهذه القناعة يتغلغلان فى نسيج أفكاره وبين سطور كل ما يكتبه خاصًا بالتنمية وبناء الإنسان.

وننتقل الآن إلى قضية أخري من القضايا التى حظيت باهتمام الأستاذ.

٥ – تنمية المرأة العربية :

اختصَّ أستاذنا الدكتور حامد عمار المرأة العربية بالبحث والدراسة باعتبارها إنسانا ومواطنا. وهو فى تناوله ينطلق من رؤية نقدية لأوضاع المرأة العربية ، مؤكدا على أن الكثير مما نحتضنه من أفكار ومواقف حول قضايا المرأة قد أملَتْه مفاهيم مشوهة عن الطبيعة البشرية وعن حركة التنمية والتقدم ، وأن هذه المفاهيم قد أفرزتها أوضاع اجتماعية واقتصادية احتكرتها الذكورة ولعبة السيطرة وعضلات القوة وحيل التنافس وطمع الربح والاستغلال الرأسمالى، وغير ذلك مما يسود من قيم فى عالمنا التكنولوجى المعاصر(٧٢).

ويرى الأستاذ أننا فى حاجة إلى مراجعة كثير من مفاهيمنا وتوجهاتنا وأوضاعنا المجتمعية والمؤسسية لكى نحقق للمرأة وبالمرأة ، وللرجل وبالرجل ، حياة متجددة تتسم بمرونة الحركة دون تعصُّب أو عُقد(٧٣).

ويطرح أستاذنا الدكتور حامد عمار إطارا عامًا لمشاركة المرأة فى التنمية يقضى

بضرورة تناول قضية المرأة فى إطار التحديات القومية ، متجاوزا تلك النظرة الساذجة التى تقصر قضية المرأة العربية على كونها "قضية تحرر" لخطورة مثل هذا التصور الساذج على وضع المرأة ودورها فى عملية التنمية[٧٤].

وفى إطار هذا التناول يطرح الأستاذ تصوراً أساسيًا لقضية المرأة العربية وإسهامها فى التنمية العربية المنشودة ، وينطلق فى تصوره هذا العديد من المنطلقات الأساسية : الدينية والوطنية والقومية والدولية والتخطيطية والتنفيذية والإعلامية والتثقيفية ، وغيرها من المنطلقات التى تؤكد وتدعم دور المرأة العربية وإسهامها فى التنمية المنشودة[٧٥].

ولقد اختصً الأستاذ المرأة الريفية بمزيد من الدراسة والتحليل للعديد من الاعتبارات الاجتماعية والثقافية والسكانية. وخلص من تناول قضية المرأة الريفية إلى أن مواجهة هذه المشكلة إنما تمثل عنصرا هامًا من عناصر المواجهة فى معالجة مشكلات التخلف المجتمعى ، وتندرج فى كثير من السياسيات والجهود اللازمة لتطوير المجتمع بصورة عامة فى البِنَى والعلاقات الاجتماعية وفى توفير الحاجات الأساسية للمواطنين والمواطنات[٧٦].

ويربط الأستاذ بين ترقية أحوال المرأة الريفية والمسألة الزراعية والتى لا تزال تعانى من التحيز ضدها فى مقابل الاهتمام بقطاعات الاقتصاد الحديثة ، وهو تحيُّز سلبى لا تمليه ضرورات التنمية المتكاملة[٧٧].

على أية حال يرى الأستاذ أن قضية المرأة بصفة عامة لا بد أن تنال ما تستحقه من الاهتمام فى نطاق العمل العربى المشترك ولا بد أن تنال المرأة الريفية على وجه الخصوص نصيبها من ثمرات هذا الاهتمام[٧٨].

وفى تعليقنا على اهتمام أستاذنا الدكتور حامد عمار بقضية المرأة العربية. فمن الواضح أنه منه ينطلق من توجهه وقناعته بأهمية البعد الإنسانى رجلا كان أم امرأة فى عمليات التنمية ، ومن ثم فإن من الضرورى أن تمثل برامج تنمية الموارد البشرية لكل من الرجال والنساء موقعها المناسب فى مجالات العمل العربى المشترك كجزء لا يتجزأ من استراتيجية التكامل الاقتصادى والاجتماعى فى الوطن العربى(٧٩).

والآن يمكن أن نخلص من الإشارة إلى هذه القضايا المرتبطة ببناء الإنسان العربى إلى أنها تكشف عن دور أستاذنا الدكتور عمار فى الكشف عن أهمية البعد الإنسانى فى عمليات التنمية ، وتأكيده على أهمية هذا البعد كتوجه جديد بعد أن ثبت فشل التوجهات الاقتصادية وحدها فى تحقيق التنمية المنشودة .

ب - الأبعاد المجتمعية والاقتصادية للمسألة التعليمية :

من وجهة نظرية نقدية تناول أستاذنا الدكتور عمار الأبعاد المجتمعية للمسألة التعليمية ، ومن وجهة نظر مجتمعية تناول الأبعاد الاقتصادية للتعليم.

وفيما يلى نوضح وجهة نظر الأستاذ حول هذه الأبعاد .

١ - الأبعاد المجتمعية للمسألة التعليمية :

يناقش أستاذنا الدكتور عمار تحت هذا العنوان قضية العلاقة بين توجُّهات المجتمع وتوظيفه للنظام التعليمى باعتباره مكوناً هاماً من مكونات المنظومة الاجتماعية فى كلِّيتها. ومن ثم يناقش إشكالية توظيف هذا النظام بين استخدام القوى المهيمنة فى المجتمع كقناة من قنوات المحافظة أو التجديد . ويطرح فى هذا الصدد العديد من التساؤلات التى تدور حول مدى تحقق الفرص المتكافئة لمختلف القوى والفئات الاجتماعية داخل هذا النظام ، ومدى حيادية التعليم فى ظل علاقته بقوى المجتمع

وسياساته ، ومدى العدالة فى توزيع المتعلمين على المهن والأنشطة الاقتصادية المختلفة ، وغيرها من التساؤلات.

ويخلص الأستاذ من مناقشاته لهذه الإشكاليات والتساؤلات إلى الآتى :

- أن هناك علاقات معقَّدة ومركَّبة بين كل من التربية والمجتمع والثقافة ، وبينها وبين حركات التطوير والتغيير. هذا فضلا عن وجود العديد من التقاطعات والتفاعلات لكل هذه التكوينات مع الإنسان فى الخريطة الاجتماعية مسيطرا ومقهوراً ، مسايراً ومغايراً ، مذعنا ومقاوماً ، متكيفًا ومبدعًا[٨٠].

- إن هناك علاقات متشابكة ومتقاطعة ومتفاعلة بين النظام السياسى بأيديولوجيته ، وتوظيف النظام التعليمى لخدمة أغراضه تحت ستار الهيبة والهالة أو الحيادية. وإن هذه العلاقة لا تزال قائمة بصورة ظاهرة ومستترة ، مباشرة وغير مباشرة[٨١].

- أنه فى ظل هذه العلاقة يصعب على التعليم أن يقوم بدور هامٍ فى توفيره للعدالة الاجتماعية من خلال تقريب فجوة التميز والتمايز بين الفئات الاجتماعية ، حيث إن التباينات الاقتصادية والاجتماعية لها فعلها وتأثيرها فى عجلة التعليم ونواتجه.

- أن دور التعليم فى إعادة إنتاج التفاوت الطبقى ليس إلا حلقة فى السلسلة المؤدية إلى هذا التفاوت ، وأنه ليس من خصائص النظام أو وظائفه أو نتائجه ، وإنما هو نتاج للبِنْية الاجتماعية بصورة عامة وموقع النظام التعليمى بداخلها ، كما أن دور التعليم فى هذا التفاوت يختلف باختلاف الزمان والمكان، وباختلاف الشرائح الاجتماعية وباختلاف المناطق والبيئات الجغرافية[٨٢].

- أن التعليم فى بلدان العالم الثالث يعانى من التبعية المستمَدَّة أساساً من تبعية

التنمية بجوانبها المختلفة فى هذه البلدان لاقتصاديات العالم الصناعى[٨٣].

- أن نظم التعليم فى بلدان العالم الثالث تحتضن - إلى حد كبير - الإرث الثقافى الرأسمالى والإمبريالى التابع، ويتمثل هذا الإرث فى أهمية عامل الخلاص الشخصى والربح الفردى ، والتنافس الحاد للكسب بالطرق المشروعة وغير المشروعة نزوعا نحو الاحتكار والهيمنة ، وامتلاك الثروة والاستحواذ على الأشياء وامتلاك السلع واحتلالها مكانة وتقديرا يفوقان قيم التعاون والمحبة والعلاقات الإنسانية[٨٤].

ويخلص أستاذنا من كل هذا إلى أن التعليم المصرى فى إطار السياق المجتمعى الكبير بأنساقه السياسية والاجتماعية والثقافية لا يزال حتى اليوم أداة إعداد من أجل تقسيم العمل ووسيلة للتوزيع على مختلف المهن ، فضلا عن كونه وعاء لتكوين النخبة الحاكمة والصفوة المثقفة ، فضلا عن الاستمرار فى إعادة إنتاج الأنماط السائدة أو تشكيل مضامين حياتها الحاليَّة فى صور جديدة[٨٥].

٢ - الأبعاد الاقتصادية للتعليم :

يعود اهتمام أستاذنا الدكتور عمار بهذه الأبعاد إلى عقد الستينيات ، وذلك عندما كتب " فى اقتصاديات التعليم عام ١٩٦٤ ، وفى السنوات الأخيرة كتب فى هذا المجال فى إطار تقييم العوائد التعليمية من منظور اقتصاديات التعليم واجتماعياته ، وذلك بعد أن تزايدت صيحات النقد لعوائده ، وتراكمَتْ مواطن القصور والتشوه فى الحالة التعليمية ، خصوصًا عند المقارنة بأحوال بعض مناطق العالم وفى ظل ظهور تحديات جديدة متجددة متمثلة فى الثورة العلمية والتكنولوجية والمعلوماتية والسوق التجارية الواحدة ، ومحاولات التصحيح الهيكلى ، وتصاعد الطموحات والاستهلاك والحراك الاجتماعى ، واضطراب القيم الفردية والاجتماعية ، واتساع الفجوة المعرفية بين الدول الصناعية والنامية ، وغيرها من الظروف والعوامل التى دفعت إلى الاهتمام

باقتصاديات التعليم فى السنوات الأخيرة(٨٦).

ومن خلال ما كتبه أستاذنا الدكتور عمار فى مجال اقتصاديات التعليم يمكن الإشارة إلى بعض أفكاره ورؤاه وتصوراته فى هذا المجال ، منها على سبيل المثال :

- أن للاستثمار فى التعليم ارتباطه الموجب بالتنمية الاقتصادية وتحقيق العدالة الاجتماعية وزيادة فاعلية البرامج المرتبطة بالتنمية البشرية بصفة خاصة والتنمية الشاملة بصفة عامة.

- أن هناك محددات مؤسسية تؤثر فى العائد المستهدف من الاستثمار فى التعليم بالنسبة إلى حركة الاقتصاد والمجتمع والثقافة ، بمعنى أن تحقيق العوائد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المستهدَفة من الاستثمار فى التعليم يتوقف على مدى توافر عوامل أخرى مؤسسية تحدد مستوى ودرجة الإسهام فى التنمية ، فالقضية ليست استثماراً فى التعليم فحسب ، وإنما أيضا قضية الظروف والعوامل الأخرى المحيطة بالتعليم والمرتبطة بعمليات التنمية.

- أن الاستثمار فى التعليم من حيث عوائده وحجم الإنفاق عليه لا بد أن يأخذ فى اعتباره عاملين أساسيين ، أولهما الالتزام بحق كل مواطن فى التعليم باعتباره حقا إنسانيا قررته الديانات السماوية والمواثيق الدولية ، وثانيهما الوفاق الوطنى حول أهداف التعليم وغاياته العليا والمضامين والقيم والوسائل الملائمة لتنمية طاقات المواطن والوطن إلى أقصى ما يمكن أن تبلغه ، وتوفير الشروط اللازمة لتمكين النظام ومؤسساته من تنمية تلك الطاقات(٨٧).

- أن العوائد المجتمعية من التعليم فى الوطن العربى فى إطار منهج اقتصاديات التعليم تعانى خللاً ونقصًا واضحَين من حيث القصور فى المقاصد الكمية الاستيعابية ، وضعف مستويات التحصيل فى المعارف والقدرات ، وتدنِّى الكفاية الإنتاجية للخريجين فى مختلف المجالات والقطاعات ، وظهور العديد من مخاطر ومظاهر التشوه الاجتماعى ، وتخلخل الثقافة الوطنية والقومية ،

وطغيان السياسة المركزية ، وغيرها من السلبيات التى تعانى منها نظم التعليم فى البلدان العربية[٨٨].

– أنه لا بد من العمل على رفع كفاءة وفاعلية النظم التعليمية فى البلدان العربية، وهذا لا يتأتى بمجرد الاستثمار فى التعليم ، أو مجرد توفير الموارد المالية ، وإنما لا بد من تحسين الظروف المحيطة بالتعليم وتوفير المناخ المناسب لأن يشارك وبفاعلية فى عمليات التنمية.

كما أنه لا بد أن يشمل الإنفاق على التعليم موارد أخرى من أهمها :

– الإرادة السياسية المستمرة فى التزامها بدور التعليم كقاطرة محركة لقطاعات التنمية الأخرى، وخميرة فاعلة فى تنشيط الجسم الاجتماعى وتجديد طاقته ، إيمانا بأن رأس المال البشرى هو العامل الرئيسى فى إنتاج التنمية ، وهو فى الوقت ذاته المنتفع بثمراتها.

ولا بد أن يدخل فى الموارد ما يطلق عليه أستاذنا الدكتور عمار "الوفاق الوطنى العام" مشيراً إلى أهداف التعليم ومقاصده وسياسته وتكافؤ فرص الانتفاع بخدماته واستثماراته دون أن تستأثر بها شرائح اجتماعية معينة.

ولا بد أن يشارك فى الموارد ما جرى العرف على تسميته بالجهود الذاتية التطوعية ، والإفادة من القروض الأجنبية[٨٩].

إلى آخر هذه الأفكار والرؤى والتصورات التى تكشف عن فهم عميق من جانب أستاذنا الدكتور عمار لاقتصاديات التعليم ، من حيث أهمية المزاوجة العضوية بين الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية فى النظرة إلى اقتصاديات التعليم ، وأن العملية ليست مجرد استثمارات وحسابات مالية بقدر ما هى عملية توظيف أمثلَ لكل الإمكانات المتاحة ، وفهم أعمق لعلاقات التفاعل بين التعليم والظروف المحيطة به ، وتوافر الظروف الملائمة مادياً واجتماعياً وثقافياً وسياسياً واقتصادياً ليقوم التعليم بدور فعَّال فى عمليات التنمية.

جـ - العلم ودوره فى التغيير المجتمعى :

يتناول أستاذنا الدكتور عمار هذه القضية من خلال الإجابة عن العديد من التساؤلات التى تدور حول التعبير المنشود ، ونوعية التغيير الحادث . ولماذا لا نشهد تجديدا أو تغييرا جوهريا فى واقعنا الاجتماعى ، وما الطريق المضمون لإحداث هذا التغيير .

ومن إجابات الأستاذ عن هذه التساؤلات يمكن استخلاص الأفكار والرؤى والتصورات التالية :

- أن هناك منظومتين تمثلان بيئة التغيير المنشود : منظومة الحاجات الإنسانية (خبزا وعملا وحرية ومشاركة) ، ومنظومة الإنتاج والتواصل الفكرى (معرفة ورشدا وعلما ونقدا). هاتان المنظومتان وما يتخللهما من قيم أخلاقية هما البيئة المنشودة للتغيير ، ويعتبران فى الوقت نفسه هدفا ووسيلة لإتاحة آفاق التجديد والإبداع ، وامتداداً من بذل الجهد والواقعية للعمل والإتقان ، والقدرة على المثابرة والمغامرة والتنظيم ، وانتهاءً بإنجاز مقاصد التغيير وأهدافه فى سلسلة مطَّردة من التصاعد والتقدم طولا وعرضا وعمقا تحقيقا لإنسانية الإنسان[٩٠].

ومن ثم فإن المعيار السليم للحكم على أى جهود تُبذل فى عمليات التغيير المنشود إنما يتحدد بمقدار ما تسهم به فى تحقيق هاتين المنظومتين اللتين تنشدان تحقيق إنسانية الإنسان وتنمية طاقاته إلى أقصى ما يمكن أن تبلغه ، أينما كان موقعه الجغرافى أو منزلته الاجتماعية باعتبار أن هذا يشكل هدفا استراتيجيا ينبغى أن يسعى لتحقيقه مختلف التخصصات والأنظمة والمؤسسات[٩١].

- أن تحقيق هذا الهدف لا يمكن أن يتأتى من خلال التصورات الذهنية أو الرؤى المثالية ، وإنما يتحقق من خلال فهم دقيق ووعى عميق بتضاريس الواقع المادى والاجتماعى والثقافى دون تسطيح أو تبسيط.

- أن للعلم (منهجا للتفكير ، ورصيدا وإنتاجا ونقلا وتوزيعا ، ونشرا وتوظيفا) دوره الهامٍّ فى إحداث التغيير المنشود وتحقيق هذا الهدف الاستراتيجي.

- أن منهج العلم وأسلوب التفكير العلمى يحمل فى البنية الداخلية لنشاطه عملية التغيير والتطوير ، لا الثبات والجمود ، وأن حقائقه وقوانينه قابلة للتغيُّر والتبدُّل.

- أن تراكم الرصيد العلمى جزء لا يتجزأ من تراكم الرصيد الثقافى العامٍّ الذى يتم تكوينه من خلال التعاون والعمل المشترك فى كل ميدان من ميادين المعرفة فى الحاضر والمستقبل ، سعياً للانطلاق من ذلك الرصيد المعرفى لتبنٍّى الأجيال المتعاقبة ، لتعمل على تجديده وتغذيته بحصاد المعرفة المتاحة والمتجددة فى الحضارات الإنسانية الأخرى.

- أن إرساء قواعد العلم ومناهجه يقتضى السعى لفهم قواعد ومفاهيم المعرفة السائدة فى ثقافتنا ومصادرها ، وآلياتها السائدة والمساندة لها ، بحيث يمكن تعزيز ما يلتزم منها بقواعد العلم الحديث ومناهجه ، ومقاومة اللا علمى من أنماط التفكير السائدة فى ثقافتنا ، وهى كثيرة من أبرزها : التفكير من خلال الأسطورة ، أو الفروسية ، أو الخوارق ، أو البطل ، أو السلطة ، أو المنفعة الخاصة ، أو الإسقاط ، أو الرومانسية ، أو الهروب ، أو الزمن ... وغيرها من الأنماط اللا علمية السائدة فى ثقافتنا العربية.

- أن مهمة إرساء قواعد العلم الحديث ومناهجه فى التفكير تقع على مختلف مؤسسات المجتمع ، بدءاً بالتربية الأسرية وامتداداً إلى المؤسسات التعليمية والسياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، ويقع على نظام التعليم العبء الأكبر من تلك المهمة ، وذلك من خلال الانتقال فى العملية التعليمية من التركيز

على الذاكرة إلى التفكير ، ومن التقبل إلى التخيل ، ومن التسليم إلى الحوار ، ومن حفظ المعلومة إلى توظيفها ، ومن الوصفى الأحادى الخطى إلى التحليلى الدائرى المركّب ، ومن الحل الوحيد إلى الحلول المتعددة ، ومن الحقائق الثابتة المطلقة إلى المتغيرة النسبية ، إلى غير ذلك من الأمور التى يمكن أن تسهم فى ترسيخ قواعد العلم ومناهجه.

وهذا يشير إلى أنه إذا كان للعلم ومناهجه وأساليبه دوره الفعال والهامُّ فى عمليات التغيير المنشود ، فإنه فى الوقت ذاته ينبغى أن يكون هو نفسه هدفا من أهداف التغيير تأسيسا لقواعده ونموه وترسيخه من خلال المنظومات المجتمعية على اختلاف اهتماماتها ومجالات عملها.

خلاصة القول أن تكوين عقلية ومنهجية تفكير مغايرة للأنماط السائدة يتطلب تعليما مغايرا ومنظومة مجتمعية مغايرة ، كما أن تكوين منظومة مجتمعية مغايرة يتطلب تعليما مغايرا وعقلية ومنهجية تفكير مغايرة ، فالعلاقة بين العلم والمنظومة المجتمعية علاقة جدلية تتمثل فى أن كلاً منهما يُعتبر بالنسبة إلى الآخر هدفا ووسيلة فى تحريك إرادة التغيير تحقيقا لإنسانية الإنسان(٩٢).

د – مؤسسات التعليم :

تناول أستاذنا الدكتور حامد عمار بالدراسة والتحليل بعض مؤسسات التعليم ، ولقد حظى التعليم العالى والتعليم الابتدائى بالنصيب الأوفر من هذا الاهتمام ، وجاء تناوله للأنواع الأخرى من التعليم عرَضاً وفى سياق تناوله لقضايا أخرى.

وفى السطور التالية نحاول إلقاء الضوء على ما طرحه من رؤى وتصورات حول التعليم العالى وبعض مشكلات العملية التعليمية فى التعليم المصرى.

١- التعليم العالى :

لقد حظى التعليم العالى - خصوصًا الجامعى منه ، وفى السنوات الأخيرة - باهتمام واضح وملموس من جانب أستاذنا الدكتور عمار ، حيث تناوله فى أكثر من دراسة وأكثر من مقال ، ومن زوايا متعددة ، مركزًا فى المعالجة على الكليات دون الدخول فى التفاصيل والجزئيات ، وعلى المعالجة من منظور إنمائى ومجتمعى بأبعاده وعوامله الاقتصادية والاجتماعية ، دون الدخول فى التفاصيل الفنية للعملية التعليمية إلا بالقدر الذى تتداخل فيه مع تلك الأبعاد المجتمعية.

وفيما يلى بعض من أفكاره ورؤاه وتصوراته حول التعليم العالى بصفة عامة ، والجامعى بصفة خاصة :

بالنسبة إلى التعليم العالى فقد تناوله الأستاذ من منظور دوره فى التنمية العربية محللا طبيعة هذا النوع من التعليم على أرضية الواقع الاجتماعى ومردوده الاقتصادى وكلفته المالية ودوره فى التنمية الزراعية والصناعية والتطوير الاجتماعى والثقافى.

ومن هذه المعالجات والتحليلات خلص الأستاذ إلى الآتى :

- أن التفاعل بين التعليم والنظام الاجتماعى أوضح ما يكون فى وظائف التعليم العالى ، باعتباره قمة النظام التعليمى. وهو كذلك فى الدول النامية وفى الأقطار العربية على وجه الخصوص ، مما يوجب أهمية القيام بالدراسات الميدانية المكثفة الكاشفة لطبيعة هذا التفاعل والتأثير والتأثر المتبادل بين التعليم العالى والنظام الاجتماعى بمختلف أبعاده فى الأقطار العربية.
- أن من الأهمية توظيف التعليم العالى توظيفًا اجتماعيا يؤثر ويتأثر بقضايا التنمية ، مع ضرورة أن يتلاءم هذا التوظيف فى أدواره المختلفة وعوائده المتنوعة وفى خطته مع استراتيجية المجتمع التى يقرها للتنمية ، وعلى ضرورة

أن تتطور السياسات والبِنَى المجتمعية بما يتيح للتعليم العالى القيام بدوره الهامٍّ فى عمليات التنمية.

- أنه على الرغم من أن الأقطار العربية تبذل جهودا متزايدة فى الإنفاق على التعليم بصفة عامة والعالى بصفة خاصة فإن مردود التعليم العالى ودوره فى التنمية بمختلف جوانبها وأبعادها لا يزال محدودا للغاية ، بل إن بعض جوانبه صاحبها تكوين قيم وآثار سلبية قد تعوق مسيرة التنمية إذا استمر فى اتجاهاته الحالية. وهذا لا يعنى أن التعليم العالى وحده هو المسئول عن سوء هذا الوضع ، وإن كان أحد العوامل المسهمة فى وجوده.

- أنه من الضرورى العمل على إيجاد آليات فعالة بشأن التعليم العالى تساعده فى الإسهام بدور أكثر فاعلية فى إحداث التنمية المنشودة على المستوى العربى ، وقد يكون من هذه الآليات :

- التعاون المالى والفنى على النطاق العربى فى توفير إمكانيات تعمل على توسيع فرص التعليم العالى فى الأقطار العربية ذات الموارد المحدودة.

- دعم الإمكانيات الفنية والتعليمية فى جامعات ومعاهد التعليم العالى فى الأفكار التى تعتبر صورة للقوة العاملة من المستويات العليا.

- إقامة جامعات متميزة فى مجالات تخصصية معينة موزَّعة بين الأقطار العربية لخدمة نشاطات استراتيجية فى مجال تكوين القاعدة العلمية التكنولوجية فى الوطن العربى. ويمكن إنشاء كليات متخصصة تتولى تمويلها المؤسسات والشركات العربية الكبرى.

- إتاحة الفرصة للالتحاق بالجامعات من قِبَل من يمكن تسميتهم "طلاب الخبرة" وهم ممن يمارسون أعمالا معينة فى قطاعات النشاط الاقتصادى والاجتماعى ، ويرغبون فى متابعة التقدم فى مجال عملهم.

- تبنِّي تجارب الجامعة المفتوحة ، وارتكـازها عـلى دراسات وبـرامج ومناهج لا تتحقق فى المؤسسات المالية.

- قيام الجامعات العربية بحثا وتدريسا على أساس مشكلات وقضايا ومشروعات عربية على النطاق القومى بدلا من الاعتماد على أساس تصنيفات المعرفة الحالية (هندسة ، طب ، تاريخ، تربية ...).

- تشجيع تكوين فرق البحث العلمى من مختلف أعضاء هيئة التدريس لتقديم المشورة للحكومات والمؤسسات المختلفة[٩٣].

إلى آخر هذه المقترحات التى يمكن أن تزيد من فاعلية دور التعليم العالى فى التنمية العربية. أما بالنسبة إلى الجامعة فقد تناولها أستاذنا الدكتور عمار من زوايا متعددة وبإيجاز . نطرح بعض أفكاره ورؤاه فى هذا المجال :

- إن للجامعة ، فى صورتها المثالية كمؤسسة اجتماعية فى قمة النظام التعليمى ، مفهومها الذى تتميز به ، فهى جامعة لعناصر التميز فى إعداد النخب العلمية وتناول المعارف العامة المشتركة التى تمثل قاعدة لمعارف ومهن متخصصة، وفيها تلتقى الثقافة الوطنية بخصوصياتها مع القضايا القومية والإنسانية.

وهى جماع لمختلف أنواع الفكر والتصور والخيال الإنسانى ، ومساحة لتعبئة الطاقات المكونة والمحركة لوعى التعليم.

وهى جامعة تؤثر فى المجتمع ، وتتأثر به ، وفيها يكتسب المتعلم القدرات العقلية والإمكانات الاجتماعية والذاتية ومهارات العمل وقيمه وعاداته ، وهى مجتمع بكل ما ينطوى عليه مفهوم المجتمع المعاصر من مقومات الحياة الديمقراطية.

وفيها يلتقى جماعة الأساتذة كفريق من فرسان العلم يتنافسون تنافساً شريفاً فى مجالات تخصصاتهم ، وفى الحياة بأسلحة المعرفة والبحث العلمى.

- إن النخبة الجامعية فى المفهوم المثال للجامعة خصائصها التى تتميز بها ، من

حيث اتساعها باتساع آفاق المعرفة الإنسانية ، وتكافؤ الأصول الاجتماعية للبحث فى قيادة مختلف أنواع الأنشطة الاجتماعية ، وتواصل الأجيال فى الإعداد للأفواج المتلاحقة من النخب ، بحيث تشكل الجماعة السابقة رأسمال المعرفة للجماعة اللاحقة.

- إنه مهما تعددت العوامل المؤثرة فى الجامعة فإن أستاذ الجامعة يشكل مركز الدائرة والطاقة المحركة لمؤسسة الجامعة ، وبقدر أستاذيته ومنهجه يكون تأثيره فى الجامعة ، وتأثيرها فى طلابها ومجتمعها. فهو محور رسالتها ومنوط ما تقوم به من أنشطة ، فالأستاذية " علم وفن وقيم ومواقف ".

- إن للجامعة تقاليدها العلمية والبحثية التى ينبغى الحفاظ عليها وترسيخها حتى يمكن أن تحافظ على نفسها وتحقق مسئولياتها العلمية والتعليمية[٩٤].

- إن هناك فجوة عميقة بين المثال والواقع بالنسبة إلى الجامعات المصرية والعربية ، حيث تعانى من الاضطراب القيمى والثقافى الذى اشتدت وطأته فى معظم الأقطار العربية ، من حيث اختلال العلاقات وتشوهها وضمور قيم الانتماء الوطنى فكرا وفعلا وتوجيها ، وظهور العديد من مظاهر التفسخ الاجتماعى وقيم التفكير الخرافى وغيرها من مظاهر الخلل والاضطراب القيمى والثقافى الذى استطاع أن ينفذ إلى الجامعة ويخترق أسوارها ، بل أصيبت هذه الأسوار بتشققات يصعب حصرها ، وباتت تهدد الكيان الجامعى[٩٥].

وكل هذا – ولا شك – يدعونا إلى التفكير جدِّيا فى كيفية الخروج من هذا المأزق ومحاولة السيطرة قدر الإمكان على هذا الاضطراب والخلل داخل وخارج الجامعة.

وفى إطار الدعوة إلى إصلاح الجامعة ، يدعو أيضا أستاذنا الدكتور حامد عمار إلى مزيد من التعليم الجامعى ، فكل المؤشرات تفرض التوسع فيه لا الحد منه بدعوى البطالة أو غيرها من الدعاوى الضيقة التى تحاول إفساح المجال للاستثمار الخاص واستهداف الربح عن طريق بيع التعليم للقادرين على دفع أثمانها الباهظة تحت مزاعم الاهتمام بالعلوم والتكنولوجيا[٩٦].

ومن الجدير بالذكر أن لأستاذنا الدكتور عمار مواقفه المشرِّفة المناهضة والناقدة لإنشاء الجامعات الخاصة على أساس أنها تشكل اختراقا لتكافؤ الفرص فى التعليم القائم على أساس القدرات العقلية لا على أساس القدرات المالية ، وأن إنشاء مثل هذه الجامعة لا يشكل أكثر من حل لمشكلة تتعلق بأبناء الأثرياء ورغبتهم فى الحصول على تعليم جامعى يفتح لهم فرص العمل إلى جانب الثروة والجاه(٩٧).

كما كان له موقفه الناقد للنظام السابق للجان العلمية لترقية أعضاء هيئة التدريس بالجامعات المصرية ، مؤيدا النظام الجديد طارحا بعض المقترحات التى يمكن أن تزيد من فاعلية هذا النظام كاقتراحه إدخال الكتاب الجامعى والترجمات ، والأنشطة العلمية الأخرى ضمن الإنتاج العلمى للمتقدم(٩٨).

وغيرها من الاتجاهات والرؤى حول التعليم الجامعى فى مصر والعالم العربى.

٢ - بعض مشكلات العملية التعليمية فى التعليم المصرى :

على الرغم من اتجاه أستاذنا الدكتور عمار إلى الاهتمام بالكليات دون الدخول فى التفاصيل والجزئيات ، فإنه تناول بعض مشكلات العملية التعليمية ، منها على سبيل المثال أهداف التعليم الابتدائى ومناهج التعليم، ومنهج اللغة العربية والدراسات الاجتماعية والشهادة الإعدادية، وقضية بتر سنة من جسم المرحلة الابتدائية ، وموضوع الثانوية العامة ، والدروس الخاصة، واليوم الكامل فى المدرسة، وغيرها من الموضوعات والمشكلات المتصلة بالعملية التعليمية.

وتتلخص وجهة نظر الأستاذ حول هذه القضايا والمشكلات فى الآتى :

- الانطلاق من المنظور التكاملى للشخصية ، بحيث توجَّه كل الطاقات والجهود لتنميتها ككل مركب وعلى أن ينعكس هذا المنظور التكاملى فى صياغة المنهج ،

وأن يتم التعامل مع المعلومة على أنها أداة للتفكير وتكوين العلاقات والمفاهيم والتعرف على الأسباب والنتائج ، وأن يتم التعامل مع التلميذ على أنه يحمل معلومات وأفكاراً واتجاهات اكتسبها من المحيط الاجتماعى الثقافى الذى يعيش فيه ، قبل أن يصل إلى المدرسة.

- الاهتمام باللغة القومية ، على أن تحتل مكان الصدارة فى عملية التعليم والتعلم ، وأن يتم تدريسها بأساليب سهلة مرنة تجعلها أداة من أدوات النمو الفكرى والاجتماعى لا مجرد أداة للإنشاء والفصاحة.

- ضرورة الاهتمام بالدراسات الاجتماعية ، على أن يتكامل فى تدريسها بُعد المكان والمجتمع مع بُعد الزمان والتغير، وأن تؤكد هذه الدراسات على البعد الإنسانى فى مواجهة ظروف الحياة، وترسيخ المقومات الفكرية والوجدانية للانتماء الوطنى ، وتفهّم مبادئ النظام الديمقراطى.

- أنه ينبغى فى تدريس المواد العلمية والرياضيات الاهتمام بعمليات التحليل والمقارنة والاستنتاج وشرح الحقائق العلمية المرتبطة بنموها وحركتها ووظائفها مع بيان أهمية العلم والعلماء فى حياة الشعوب.

- أنه ينبغى الاهتمام بالتربية الدينية والفنية بما يتناسب وإمكانات وقدرات التلاميذ.

- كما ينبغى فى المرحلة الابتدائية التقليل قدر الإمكان من الكتب والاعتماد على الأنشطة والعقل من جانب التلاميذ[٩٩].

٢ - بالنسبة إلى السنة الدراسية التى بُترت من جسم التعليم الابتدائى ، واقتراح المؤتمر القومى لتطوير التعليم الإعدادى (نوفمبر ١٩٩٤) بإضافة سنة إلى التعليم الإعدادى ، فإن الأستاذ يؤيد هذه الإضافة من منطلق أن هناك صعوبات فى إعادة السنة المسلوبة من التعليم الابتدائى ، ومن ثم يشكل إضافة سنة للتعليم الإعدادى تصحيحًا للأوضاع ، ولا ضير فى هذا خصوصًا وأن أهداف التعليم الأساسى ومعارفه وخبراته وأنشطته سيتم توزيعها على السنوات التسع[١٠٠].

ومن الجدير بالذكر أن أستاذنا الدكتور عمار يُعتبر من أوائل من قاموا بنقد إلغاء السنة السادسة الابتدائية ومن المطالبين بزيادة سنوات التعليم الأساسي كضرورة تربوية مُلحَّة لتحقيق أهدافه التربوية ، وإتاحة فسحة زمنية للتعليم الفعَّال وممارسة الأنشطة الثقافية والرياضية والفنية التي تنمِّي ميول المتعلمين واهتماماتهم ومواهبهم(١٠١).

كما أنه يعد من المؤيدين وبقوة لعودة اليوم الكامل للمدرسة الابتدائية ، وضرورة تعميمه في جميع المدارس ريفًا وحضراً(١٠٢).

وما علينا إلا أن نراجع قسمات وملامح هذا المنهج وهذه المنظومة في العديد من كتبه ودراساته والتي سبق أن أشرنا إلى بعضها في مستهلّ هذه الورقة.

والآن نتساءل : ما علاقة ما طرحناه بمفهوم الإبداع ، المبرر الأساسي لكتابة هذه الورقة؟

عود على بدء :

لقد سبق أن أشرنا – في مستهَلّ هذه الورقة – إلى مفهوم معيَّن للإبداع ، من حيث أنه يعبِّر عن قدرة العقل على تكوين علاقات جديدة من أجل تغيير الواقع. وأن من أهم خصائص المفكر المبدع أن يكون قادرا على تحليل الواقع ونقد العلاقات السائدة ، والكشف عن علاقات جديدة تستهدف تغييره ، وتخيل ما يمكن تحقيقه فيه ، وفق رؤية مستقبلية واضحة لما سوف يكون عليه الوضع القادم كبديل للوضع القائم.

وعلى هذا الأساس حاولنا استجلاء بعض جوانب الإبداع في فكر أستاذنا الدكتور حامد عمار: منهجا وموضوعا ، ومن خلال ما طرحناه يتبين لنا ما يلي :

١ – أن الأستاذ قد اختطّ لنفسه منهجا فكريا متميزا يتجلى فيه – وبوضوح – خصائص المفكر المبدع ، وفق التحديد السابق الإشارة إليه ، ولعل من أهم هذه الخصائص بالنسبة إلى منهجية الأستاذ :

– اتخاذه الواقع الاجتماعى المرتكز الأساسى لكل التحليلات والتفسيرات وعمليات التنظير لمختلف القضايا والمشكلات التى تناولها بالبحث والدراسة.

– معالجته للظواهر الاجتماعية والتربوية من خلال السياق المجتمعى الذى يحيط بها وتعمل من خلاله، وبأساليب وطرائق تنبع من طبيعتها وطبيعة الظروف المحيطة بها.

– اهتمامه بالتنظير النقدى للواقع لسبر أغوار ما وراء الظواهر ونقد العلاقات المسيطرة المهيمنة.

– اهتمامه بالرؤية الناقدة للكثير من المفاهيم السائدة فى الفكر الاجتماعى والتربوى ، والكشف عن الأبعاد الاجتماعية والثقافية الكامنة وراءها ، والتى أدت إلى الأخذ بها ، وذلك فى إطار الدعوة إلى مراجعة ما يسيطر على حياتنا شعوريا – أو لا شعوريا – من أفكار ومسلمات معوقة عاجزة عن استيعاب ما يحدث من تغيرات، وعن الصمود أمام حقائق العلم المعاصر.

– اهتمامه بطرح الرؤى والتصورات البديلة والكشف عن علاقات جديدة بدلا من العلاقات السائدة المهيمنة ، ومن ثم تهيئة المناخ والتمهيد لوضع قادم بديل للوضع القائم.

– وأخيرا وليس آخرا توجهه القومى وإيمانه بوحدة العمل العربى فى النهوض بالأمة العربية.

٢ – أن الأستاذ – من حيث الموضوع – اهتم بتناول قضايا وموضوعات

ومشكلات تتميز بالجدة والأصالة من حيث اختيارها كموضوع للدراسة ، كما تتميز بدرجة قصوى من الأهمية ، باعتبارها من أمهات القضايا فى الفكر الاجتماعى والتربوى ، وتشكل " المفاتيح " الأساسية للدخول فى هذا الميدان : دراسة وتحليلا ، وتحديدا لأبعادها ، وليس أدلّ على هذا من تناوله لقضايا الثقافة الوطنية والقومية ، والشخصية الاجتماعية ، وقضايا التنمية ، وبناء الإنسان العربى ، وقضايا العلم والتفكير العلمى ، بالإضافة إلى قضية التعليم صناعته وحرفته.

ولا يقف إبداع الأستاذ فى اختياره لهذه القضايا أو غيرها كموضوع للدراسة ، وإنما يمتد لتحليلاته وتفسيراته ، ورؤاه وتصوراته. وبيان هذا يحتاج إلى مجلدات ضخمة وجهد أكبر ، ويكفى أن نشير – من خلال ما طرحناه – إلى :

– الفهم العميق من جانب أستاذنا الدكتور عمار لمفهوم التنمية الشاملة ، وأهمية التنمية البشرية فى هذا المجال ، حتى يتحقق التوازن بين " بناء الحجر وبناء البشر " ، وبين تأسيس العمران وكرامة الإنسان ، وبين قيمة الطاقات الإنسانية وتوظيف البشر ، ومشاركتهم فى مختلف القطاعات والمجالات.

– إيمانه العميق بأهمية بناء الإنسان العربى واعتباره صانع التنمية وهدفها النهائى.

– فهمه الأصيل والمعاصر للثقافة القومية ودورها فى عمليات التنمية وتكوين الهوية.

– اهتمامه الشديد بدراسة الشخصية الاجتماعية العربية باعتبارها من المداخل الأساسية لتحديد دور الإنسان العربى فى جوهر عملية التخطيط الإنمائى ، واهتمامه أيضا بآليات تكوين النمط المطلوب لهذه الشخصية وفى مقدمتها الإرادة السياسية ومؤسسات التكوين والتعليم والتثقيف والتلاحم والتفاعل خلال الحياة اليومية.

– رؤيته الواعية لنوعية المجتمع الذى ينبغى أن نسعى لصياغته من حيث كونه

مجتمعا منتجا يتيح فرص العمل المنتج لكل أفراده ويشيع فيه العدل الاجتماعى ، والتواصل الثقافى والحوار الديمقراطى ، يشارك فى بنائه كل أبنائه.

- رؤيته لدور التعليم فى صياغة هذا المجتمع وتنمية طاقات الإنسان وتحريرها من القهر.

- إيمانه العميق بضرورة دراسة الأبعاد المجتمعية للنظام التعليمى ، حيث لا يمكن تحليل وتحديد ما يحدث داخل هذا النظام إلا من خلال السياق المجتمعى الذى يعمل من خلاله.

- رؤيته الناقدة لدور التعليم فى إعادة إنتاج الشخصية ، وإنما الذى يدفعه للقيام بهذه المهمة الأنساق الاجتماعية الأخرى المهيمنة والمسيطرة عليه.

- تأكيده على أهمية صبغ الأبعاد الاقتصادية للتعليم بالصبغة الاجتماعية واتخاذ الموارد الإنسانية والإرادة السياسية كموارد أساسية للتعليم والارتقاء به.

- تأكيده على أهمية التوظيف الاجتماعى للعلم ، واتخاذه منطلقا أساسيا لإحداث التغيير المنشود، بتوفير المناخ المناسب لنمو العلم وتعميق وترسيخ قيمه.

- اهتمامه بمعالجة قضايا مؤسسات التعليم على اختلاف مراحلها وتأكيده على ضرورة أن تكون المؤسسة التعليمية مسهمة فى صناعة الفكر المبدع ونقطة البدء فى الممارسة والحركة الجدلية من أجل صياغة مجتمع جديد متجدد.

- إيمانه بدور التعليم العالى فى عملية التنمية ، ودور الجامعة على وجه الخصوص فى هذا المجال. وتأكيده على أهمية أستاذ الجامعة كمركز للدائرة والطاقة المحركة للجامعة كمؤسسة وكرسالة.

- رؤيته الناقدة للكثير مما يحدث بالنسبة إلى العملية التعليمية ، وتأكيده على أهمية ما يحدث الآن من إجراءات لتطويرها كخطوة على الطريق الصحيح ، وإن كانت بحاجة إلى الاستمرارية وصدق النية والصمود أمام تيار الجمود ،

والتصدى للبيروقراطية الموروثة والمتوارثة والتى يعانى منها نظامنا التعليمى.

- تأكيده على أهمية زيادة سنوات التعليم الأساسى من أجل الارتقاع بمستوى العملية التعليمية.

إلى آخر هذه الرؤى والتصورات التى طرحها أستاذنا الدكتور حامد عمار والتى تؤكد على مدى ما يتمتع به من إبداعٍ : منهجًا وموضوعًا ، تحليلاً وتفسيراً ، وطرحاً للرؤى والتصورات. وهو فى كل هذا يهتدى بتوجُّهه الوطنى والقومى ، ساعيا لتحرير الإنسان العربى من كل عوامل التعبئة والقهر وتنمية طاقاته إلى أقصى حد ليشارك بفاعلية فى صنع حاضره ومستقبله ، ومن ثم تتحقق كرامته ، ويشيع العدل الاجتماعى بين البشر.

هذا ما استطعنا أن نقوم به فى هذه الورقة التى تحمل عنوان "حامد عمار مفكراً مبدعًا" ، ولا شك أن هذه الورقة لا تحمل أكثر من دعوة لتناول فكر الأستاذ بعمق واتساع أكبر ، ونأمل أن يجد هذا الفكر الخصب والخصيب طريقه إلى الدراسات والبحوث العلمية فى مجال العلوم الاجتماعية والتربوية.

هوامش ومصادر الدراسة

١ - سعيد إسماعيل على : تقديم المحاضرة التذكارية التى ألقاها الدكتور حامد عمار فى المؤتمر العلمى السنوى الرابع عشر " التعليم والإعلام" تحت عنوان "أحوال الإنسان فى ربوع مصر" . القاهرة ، رابطة التربية الحديثة ، يوليو ١٩٩٤ .

٢ - نفس المرجع .

٣ - نفس المرجع .

٤ - مراد وهبة : فلسفة الإبداع ، الكتاب الثالث ، القاهرة ، دار العالم الثالث. الطبعة الأولى ١٩٩٦ ص ٥١ .

٥ - نفس المرجع ص ٥٤ .

٦ - حامد عمار : دراسات فى التربية والثقافة : "من همومنا الثقافية" القاهرة ، مكتبة الدار العربية ، للكتاب الجزء الأول ١٩٩٥ ، ص ٢٤٢ .

* مسقط رأس أستاذنا الدكتور حامد عمار ، وهى قرية تابعة لمحافظة أسوان.

٧ - نفس المرجع .

٨ - نفس المرجع ص ٢٢٣ - ٢٢٧ .

٩ - نفس المرجع ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

١٠ - نفس المرجع .

١١ - نفس المرجع ص ٢٢٨ - ٢٣٢ .

١٢ - نفس المرجع ص ٢٣٢ .

١٣- نفس المرجع ص ٢٣٣ .

١٤- نفس المرجع ص ٢٣٤ .

١٥ - نفس المرجع ص ٢٣٥ - ٢٣١ .

١٦ - نفس المرجع .

١٧ - نفس المرجع ص ٢٣٦ .

١٨- نفس المرجع ص ٢٣٧ .

١٩ - نفس المرجع .

٢٠- نفس المرجع ص ٢٣٤ .

٢١ - نفس المرجع ص ٢٣٨ .

٢٢- نفس المرجع ص ٢٣٩ .

٢٣ - نفس المرجع .

٢٤- نفس المرجع .

٢٥- نفس المرجع ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

٢٦- نفس المرجع .

* لمزيد من الإفادة والاستزادة ، وبيانًا لفضل الدكتور حامد عمار وجهوده العظيمة وخبراته الواسعة وإنتاجه العلمى الضخم المتعدد والمتنوع ، أشرنا أن نضمّن هذه الورقة ملحقًا بسيرته الذاتية متضمنا الخبرة العلمية والعملية ، والإنتاج العلمى للأستاذ.

٢٧ – حامد عمار : دراسات فى التربية والتغير الثقافى. الجزء الأول مرجع سابق ص ١٧ .

٢٨- نفس المرجع ص ٤٤ .

٢٩- نفس المرجع ص ١٤٧

٣٠- نفس المرجع ص ١٧٧ .

٣١ – حامد عمار : فى بناء الإنسان العربى. القاهرة مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية ١٩٩٢ ، الطبعة الأولى ص ١٢ .

٣٢ – حامد عمار : دراسات فى التربية والنقد الثقافى الجزء الأول نفس المرجع ص ٤٧ – ٤٨ .

٣٣- نفس المرجع ص ٤٨ .

* المنهج الكيفى فى البحث يشير إلى عدة استراتيجيات بحثية تعتمد على الملاحظة المشاركة ، والمقابلات العميقة ، والانخراط الكامل فى الأنشطة موضوع الدراسة بهدف الحصول على معارف ومعلومات وبيانات جديدة ، مباشرة عن الواقع الاجتماعى للظاهرة موضوع البحث.

لمزيد من التفاصيل انظر :

– حسن البلاوى ، "فى علم اجتماع المدرسة" ، القاهرة ، عالم الكتب – ١٩٩٣ .

٣٤ – حامد عمار : التنشئة الاجتماعية فى قرية مصرية (سلوا) ، ترجمة غريب سيد أحمد وآخرين. الإسكندرية. دار المعرفة الجامعية ١٩٨٧ .

٣٥ – حامد عمار : دراسات فى التربية والتغير الثقافى ، الجزء الأول ، مرجع سابق ص ٢٧ – ٢٨ .

٣٦ - حامد عمار "فى بناء البشر" ، دراسات فى التغير الحضارى والفكر التربوى. القاهرة ، دار المعرفة ١٩٦٣ (الطبعة الثانية ١٩٦٨).

٣٧- نفس المرجع ص ١٥٨ - ١٥٩ .

٣٨- نفس المرجع ص ١٦٣ - ١٦٤ .

٣٩- نفس المرجع ص ١٦٧ - ١٨٢ .

٤٠ - حامد عمار : دراسات فى التربية والثقافة ، الجزء الأول مرجع سابق ص ٣١ - ٣٣ .

٤١- نفس المرجع ص ٣٣ - ٤٤ .

٤٢ - حامد عمار : فى بناء البشر ، مرجع سابق .

٤٣ - حامد عمار :

- التنمية البشرية فى الوطن العربى : المفاهيم والمؤشرات والأوضاع. القاهرة ، دار سينا للنشر. الجزء الأول ، ١٩٩١ .

- التنمية البشرية فى الوطن العربى. الإحصاءات والوثائق. القاهرة ، دار سينا للنشر ، الجزء الثانى ١٩٩٢ .

٤٤ - حامد عمار : فى بناء الإنسان العربى - مرجع سابق .

٤٥ - صدر من هذه السلسلة حتى الآن أربعة أجزاء. انظر :

- حامد عمار : دراسات فى التربية والثقافة القاهرة. مكتبة الدار العربية للكتاب ، ١٩٩٥ .

٤٦ - حامد عمار : دراسات فى التربية والثقافة. فى التوظيف الاجتماعى للتعليم. القاهرة. مكتبة الدار العربية للكتاب. ١٩٩٥ ، الجزء الثالث ص ١٤ - ١٥ .

٤٧ – حامد عمار : أحوال الإنسان فى ربوع مصر ، القاهرة ، رابطة التربية الحديثة ، يوليو ١٩٩٤ ، ص ٥ .

٤٨ – حامد عمار : دراسات فى التربية والثقافة. التوظيف الاجتماعى للتعليم ، الجزء الثالث. مرجع سابق ص ١٥ – ١٦ .

٤٩- نفس المرجع ص ١٧ – ١٨ .

٥٠- نفس المرجع ص ١٨ – ١٩ .

٥١ – حامد عمار : أحوال الإنسان فى ربوع مصر – مرجع سابق.

٥٢ – حامد عمار : فى بناء الإنسان العربى. مرجع سابق ص ٤٤ – ٤٥ .

٥٣ – حامد عمار : فى بناء البشر ، مرجع سابق ص ٤١ – ٥٨ .

٥٤- نفس المرجع ص ٣٧ – ٤٠ .

٥٥- نفس المرجع ص ٦٢ – ٧٣ .

٥٦ – حامد عمار : فى بناء الإنسان العربى . مرجع سابق ص ١١ – ١٢ .

٥٧- نفس المرجع ص ١٠٣ – ١٣٢ .

٥٨ – حامد عمار : دراسات فى التربية والثقافة ، جـ ١ مرجع سابق ص ١٧٧ – ١٨٤ .

٥٩ – حامد عمار : فى بناء البشر : مرجع سابق ص ٧٨ – ٧٩ .

٦٠ – حامد عمار : فى بناء الإنسان العربى ، مرجع سابق ص ١٣٥ .

٦١ – حامد عمار : فى بناء البشر ، مرجع سابق .

٦٢ – حامد عمار : فى بناء الإنسان العربى ، مرجع سابق ص ١٤٢ .

٦٣- نفس المرجع ص ١٣٨ .

٦٤- نفس المرجع .

٦٥- نفس المرجع ص ١٤١ .

٦٦ - حامد عمار : فى بناء البشر : مرجع سابق ص ٨٨ - ٩٩ .

٦٧- نفس المرجع ص ١٠٠ - ١١٥ .

٦٨- نفس المرجع ص ١١٦ - ١٥٦ .

٦٩ - حامد عمار : فى بناء الإنسان العربى ، مرجع سابق ، ص ١٤٨ - ١٥١ .

٧٠- نفس المرجع .

٧١- نفس المرجع ص ١٤٩ .

٧٢ - نفس المرجع ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .

٧٣- نفس المرجع .

٧٤- نفس المرجع ص ٢٨٧ - ٣١١ .

٧٥- نفس المرجع ص ٣١١ - ٣٥٧ .

٧٦- نفس المرجع ص ٣٥٧ .

٧٧- نفس المرجع ص ٣٥٨ .

٧٨- نفس المرجع ص ٣٥٩ .

٧٩- نفس المرجع .

٨٠ - حامد عمار : دراسات فى التربية والثقافة ، جـ ١ ص ٢٧ .

٨١- نفس المرجع ص ٣٥ .

٨٢- نفس المرجع ص ٤١ .

٨٣- نفس المرجع ص ٤١ - ٤٢ .

٨٤- نفس المرجع ص ٤٣ .

٨٥- نفس المرجع ص ٤٥ .

٨٦- نفس المرجع ص ٦٦ - ٧٥ .

٨٧- نفس المرجع ص ٦٢ - ٦٥ .

٨٨- نفس المرجع ص ٧٥ - ٨٣ .

٨٩- نفس المرجع ص ٨٣ - ٨٥ .

٩٠- نفس المرجع ص ١٤٠ - ١٥٣ .

٩١- نفس المرجع ص ١٧١ .

٩٢- نفس المرجع ص ١٧١ - ١٧٤ .

٩٣ - حامد عمار : فى بناء الإنسان العربى ، مرجع سابق ص ٢٠٣ - ٢٣٣ .

٩٤ - حامد عمار : دراسات فى التربية والثقافة ، حـ ١ مرجع سابق ص ٩٣ - ١١٦ .

٩٥ - حامد عمار : دراسات فى التربية والثقافة الجامعية بين المؤسسة والرسالة. مكتبة الدار العربية للكتاب. القاهرة ١٩٩٥ - الجزء الرابع.

٩٦ - حامد عمار : دراسات فى التربية والثقافة فى التوظيف الاجتماعى للتعليم. مكتبة دار الكتب العربية. القاهرة ، ١٩٩٥ ، الجزء الثالث ، ص ١٣٠ - ١٣٣ .

٩٧ - حامد عمار : دراسات فى التربية والثقافة ، حـ ٤ ، مرجع سابق ص ٩٣ - ١٠٢ .

٩٨- نفس المرجع ص ١٢٢ .

٩٩ - حامد عمار : دراسات فى التربية والثقافة ، حـ ٣ ، مرجع سابق ص ١١ - ٢٢ .

١٠٠- نفس المرجع ص ٦١ - ٦٥ .

١٠١- نفس المرجع ص ٧١ - ٧٨ .

١٠٢- نفس المرجع ص ١٣٥ - ١٢٨ .

١٠٣- نفس المرجع ص ٧٩ - ٨٧ .

١٠٤- نفس المرجع ص ٣٥ .

١٠٥- نفس المرجع ص ٩٦ .

١٠٦- نفس المرجع .

ملحق

المؤهلات والخبرات العلمية والعملية والإنتاج العلمى للأستاذ الدكتور حامد مصطفى عمار

أولا : المؤهلات العلمية :

١ – ليسانس الآداب الممتازة – كلية الآداب جامعة فؤاد الأول تخصص التاريخ ١٩٤١ .

٢ – دبلوم فى التربية ، معهد التربية العالى للمعلمين. القاهرة ، ١٩٤٢ .

٣ – ماجستير فى التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة الملك فؤاد الأول ١٩٤٥ .

٤ – ماجستير فى التربية ، معهد التربية ، جامعة لندن ، تخصص أصول التربية ١٩٤٩ .

٥ – دكتوراه الفلسفة فى التربية ، معهد التربية ، جامعة لندن ، تخصص اجتماعيات التربية ١٩٥٢ .

ثانيا : الخبرة العلمية والعملية : (مرتبة تاريخيا من الأقدم إلي الأحداث)

أ – الوظائف التدريسية :

١ – مدرس بمدرسة قنا الابتدائية (من ١٩٤٢ – ١٩٤٣) .

٢ – مدرس بالمدرسة النموذجية الثانوية ، حدائق القبة ، القاهرة (من ١٩٤٣ – ١٩٤٦) .

٣ – مدرس ثم أستاذ مساعد بكلية التربية جامعة عين شمس (من ١٩٥٢ – ١٩٦٣) .

٤ – أستاذ الأصول الاجتماعية للتربيــة ، كلية التربيــة ، جامعة عين شمس (من ١٩٦٤ – ١٩٧٣) .

٥ - أستاذ متفرغ ، كلية التربية ، جامعة عين شمس (من ١٩٨٧ حتى الآن) .

ب - الوظائف والمهام الأخري :

١ - خبير ثم رئيس قسم التدريب بالمركز الدولى لتنمية المجتمع بسرس الليان ، المنوفية (من ١٩٥٣ - ١٩٦٦).

٢ - عضو مجلس إدارة معهد الأمم المتحدة لبحوث التنمية الاجتماعية (جنيف من ١٩٦١ - ١٩٦٧) .

٣ - مستشار الأمم المتحدة فى التنمية الاجتماعية بالمركز الدولى لتنمية المجتمع بسرس الليان (من ١٩٦٧ - ١٩٦٨).

٤ - المستشار الإقليمى للأمم المتحدة فى تنمية الموارد البشرية باللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (أسكوا ، من ١٩٦٨ - ١٩٨٦) .

٥ - عضو اللجنة الأكاديمية لمعهد التخطيط بالكويت (١٩٧٥ - ١٩٧٦) .

٦ - عضو لجنة تحكيم الإنتاج العلمى لجائزة الكويت عامى ١٩٨٢ ، ١٩٨٥ .

٧ - مستشار مشروع تقرير التنمية البشرية فى مصر الذى يقوم بإعداده معهد التخطيط القومى (من ١٩٩١ - حتى الآن) .

٨ - عضو لجنة السكان والعلوم الاجتماعية ، أكاديمية البحث العلمى القاهرة (من ١٩٩٣ حتى الآن).

٩ - عضو لجنة التربية وعلم النفس بالمجلس الأعلى للثقافة (القاهرة من ١٩٩٣ حتى الآن).

١٠ - عضو منتدى الفكر العربى (عمان).

١١ - عضو المجلس العربى للطفولة والتنمية (القاهرة).

١٢ – عضو اللجنة الاستشارية الفنية للمجلس القومى للطفولة والأمومة (القاهرة).

١٣ – عضو عدد من المجالس الاستشارية واللجان الفنية والمراكز العلمية بجامعة عين شمس ووزارة التعليم ومعهد التخطيط القومى ، والهيئة العامة لمحو الأمية ، بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية (القاهرة) .

جـ – الإسهام فى الأعمال الإنشائية :

١ – تأسيس المركز الدولى لتنمية المجتمع ومحو الأمية فى العالم العربى بسرس الليان (ج. م. ع.) .

٢ – تأسيس وتطوير معهد الخدمة الاجتماعية بالأردن.

٣ – تأسيس وتطوير مركز التدريب على العمل الاجتماعى – مسقط – سلطنة عمان.

٤ – إعداد وثيقة مشروع المسلسل التليفزيونى (افتح يا سمسم) بين مؤسسة الخليج للإنتاج التلفزيونى ومؤسسة الأطفال الأمريكية.

٥ – عضو للجنة الخاصة بدعم برامج معهد التخطيط بالكويت.

د – مستشار لهيئة تحرير مجلات علمية :

١ – مرآة العلم الاجتماعية. وزارة التربية والتعليم ، القاهرة (من ١٩٦٢ – ١٩٦٨).

٢ – صحيفة التربية ، رابطة خريجى معاهد وكليات التربية القاهرة (من ١٩٦٥ – ١٩٦٧) .

٣ – مجلة التربية العربية ، ومجلة البحوث التربوية العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس (من ١٩٨٠ – حتى الآن).

٤ – دراسات تربوية ، رابطة التربية الحديثة ، القاهرة (من ١٩٨٧ – حتى الآن) .

٥ – التربية المعاصرة ، رابطة التربية الحديثة ، القاهرة (من ١٩٨٧ – حتى الآن) .

٦ – المنار ، بيروت (من ١٩٨٨ – حتى الآن).

٧ – التربية والتنمية – مركز التنمية البشرية والمعلومات القاهرة (من ١٩٩٢ – حتى الآن).

٨ – مجلة كلية التربية ، جامعة الإمارات العربية المتحدة (من ١٩٩٢ – حتى الآن)

هـ – المسئول الرئيسى فى إعداد وتحرير الوثائق التالية :

١ – الأمانة العامة لجامعة الدول العربية (الإدارة الاجتماعية والثقافية) :

* استراتيجية العمل الاجتماعى فى الوطن العربى. تونس ١٩٨٠ .

* الميثاق العربى للتنمية الاجتماعية الشاملة. تونس ١٩٨٤ .

* الاستراتيجية العربية للتنمية الاجتماعية الشاملة. تونس ١٩٨٥ .

٢ – المجلس القومى للطفولة والأمومة فى مصر :

استراتيجية الطفولة والأمومة فى مصر. القاهرة ١٩٩٠ .

٣ – الأمم المتحدة (اللجنة الاقتصادية).

و – المشاركة والتمثيل فى المؤتمرات والندوات :

١ – عضو وفد مصر إلى المؤتمر العامٌ لمنظمة اليونسكو ، باريس عامَىْ ١٩٥٢ ، ١٩٩٣ .

٢ – عضو المؤتمر الأول لتضامن الشعوب الآسيوية والإفريقية القاهرة ١٩٩٥ .

٣ – عضو وفد المؤتمر الأول لتضامن الشباب الآسيوى الإفريقى ، القاهرة ١٩٦٠ .

٤ – رئيس الندوة العلمية التى نظمها اليونسكو عن "العامل البشرى فى التنمية" باريس ١٩٦٢ .

٥ – ممثل مصر فى مؤتمر أمريكا اللاتينية حول التنمية والتخطيط التربوى ، شيلى ١٩٦٣ .

٦ – مقرر لجنة التخطيط الاجتماعى فى مؤتمر الخطة الخمسية الأولى للتنمية فى الأردن (١٩٧٥ – ١٩٧٩) .

٧ – مقرر لجنة التخطيط الاجتماعى فى مؤتمر الخطة الخمسية الأولى للتنمية فى اليمن (١٩٧٧ – ١٩٨١) والخطة الخمسية الثانية (١٩٨٢ – ١٩٨٦) .

٨ – ممثل لجنة الأمم المتحدة (اللجنة الاقتصادية والاجتماعية) إلى مؤتمر وزراء التعليم العالى ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الجزائر ١٩٨٠ .

٩ – رئيس وفد لجنة الأمم المتحدة (اللجنة الاقتصادية والاجتماعية) إلى المؤتمر العالمى للمرأة. كوبنهاجن ، ١٩٨٠ .

١٠ – رئيس وفد لجنة الأمم المتحدة (اللجنة الاقتصادية والاجتماعية) إلى المؤتمر العالمى للسكان – المكسيك ١٩٨٤ .

١١ – رئيس وفد لجنة الأمم المتحدة (اللجنة الاقتصادية والاجتماعية) إلى المؤتمر العالمى لتقييم منجزات عضو الأمم المتحدة للمرأة ، نيروبى ١٩٨٥ .

١٢ – المشاركة فى العديد من الندوات العلمية والفنية التى نظمتها الأمانة العامة لجامعة الدول العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومنظمة اليونسكو ، ومنظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسيف).

رابعا : الإنتاج العلمى :

(أ) الرسائل الجامعية :

١ - علاقة مصر المملوكية بالدول الإفريقية - رسالة ماجستير - تخصص التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة الملك فؤاد الأول ١٩٤٥ .

٢ - عدم تكافؤ الفرص التعليمية فى مصر - رسالة ماجستير تخصص أصول التربية ، معهد لندن للتربية ، جامعة لندن ١٩٤٩ .

٣ - رسالة دكتوراه تحت عنوان :

Growing Up in on Egyptian Village, Sillwa, Province of Aswan.

من معهد لندن للتربية ، جامعة لندن ١٩٥٢، ونشرت الرسالة سلسلة

International Library of Sociology and Social Reconstruction, Rouledge & Kegan Paul (ثلاث طبعات).

كما نشرتها بعد ذلك مؤسسة **Octagon Books** فى نيويورك عامَىْ ١٩٧٣ و١٩٧٤

وقام بترجمتها إلى اللغة العربية سيد غريب ، عادل الهوارى ، عبد الباسط عبد المعطى ، إنعام عبد الجواد ، بعنوان " التنشئة الاجتماعية فى قرية مصرية - سلوا - أسوان " ومراجعة المؤلف مع مقدمة إضافية حول الدراسة ومناهجها. دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٨٧ .

ب - دراسات وبحوث (مرتبة تاريخيا من الأقدم) :

١ - المخططات التربوية وعلاقتها بالاتجاهات الاقتصادية والاجتماعية . فى كتاب "مشكلات التخطيط التربوى فى البلاد العربية" . جامعة الدول العربية ١٩٥٥ .

٢ - تعليم الكبار. المركز الدولى لتنمية المجتمع بسرس الليان ١٩٥٦ .

٣ - برامج التدريب فى تنمية المجتمع فى العالم العربى ، سرس الليان ١٩٥٨ .

٤ – أهمية التدريب ودوره فى المجتمعات النامية. فى كتاب "أبحاث فى التدريب على تنمية المجتمع" . سرس الليان ١٩٦٣ .

٥ – فى اقتصاديات التعليم ، المركز الدولى لتنمية المجتمع – سرس الليان ١٩٦٤ .

٦ – تقويم التنمية الاجتماعية . فى كتاب "التخطيط للتنمية الاجتماعية فى الوطن العربى" ، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية . القاهرة ١٩٦٨ .

٧ – برامج محو الأمية الوظيفى فى إطار التنمية الاقتصادية. فى كتاب "محو الأمية الوظيفى فى خدمة التنمية والإنتاج فى البلاد العربية" ، سرس الليان ١٩٦٩ .

٨ – الأسرة العربية. القيم والتقاليد ، فى كتاب "أزمة التطور الحضارى فى الوطن العربى" جمعية الخريجين ، الكويت ، ١٩٧٥ .

٩ – البترول وتطور التعليم فى الوطن العربى. ندوة البترول والتغير الاجتماعى فى الوطن العربى. المؤتمر العربى للتخطيط فى الكويت ، ١٩٨١ .

١٠ – التنمية الاجتماعية فى دولة الكويت وعلاقتها بالنمو السكانى (بالاشتراك) ، المؤتمر التخطيطى حول مستقبل النمو السكانى والتطور الاقتصادى والاجتماعى فى الكويت. وزارة التخطيط ، الكويت ١ – ٤ مايو ، ١٩٨٣ .

١١ – فى بناء البشر. دراسات فى التغيير الحضارى والفكر التربوى. المركز الدولى لتنمية المجتمع ، سرس الليان ، ١٩٦٣ (طُبع أكثر من مرة آخرها الطبعة الرابعة ١٩٨٥) بتونس ، الدار التونسية للنشر.

١٢ – العوامل الاجتماعية فى التنمية البشرية ، ندوة تنمية الموارد البشرية فى الوطن العربى ، مطبوعات المعهد العربى للتخطيط بالكويت بعنوان "تنمية الموارد البشرية" ١٩٨٩ .

١٣ – التنمية البشرية فى الوطن العربى ، المفاهيم والمؤشرات والأوضاع جـ ١ ، دار سينا للنشر ، القاهرة ١٩٩١ .

١٤ – فى تطوير القيم التربوية ، دار سعاد الصباح ، القاهرة ، ١٩٩١ .

١٥ – من قضايا الأزمة التربوية ، دار سعاد الصباح ، القاهرة ١٩٩٢ .

١٦ – خواطر منهجية حول ورقة التنمية البشرية فى الوطن العربى – المؤتمر العلمى الثانى: التنمية البشرية فى الوطن العربى: الواقع والمستقبل ، بيروت من ٧ – ٩ نوفمبر ١٩٩٢ .

١٧ – التنمية البشرية فى الوطن العربى ، الإحصاءات والوثائق ، جـ ٢ القاهرة ، ١٩٩٣

١٨– فى بناء الإنسان العربى: دراسات فى التوظيف القومى للفكر الاجتماعى، دار سعاد الصباح، القاهرة، ١٩٩٣ .

١٩– بعض الأبعاد والمتغيرات الاجتماعية المؤثرة فى العلاقة بين التعليم والعمل فى الوطن العربى، ندوة التنمية البشرية، جامعة الدول العربية، القاهرة ٦– ٩ ديسمبر ١٩٩٣ .

٢٠– خواطر حول مقومات الحياة الجامعية حاضرا ومستقبلا، المؤتمر التربوى الثانى لقسم أصول التربية، كلية التربية ، جامعة الكويت ١٧– ٢٠ أبريل ١٩٩٤

٢١– أحوال الإنسان فى ربوع مصر ومؤشراتها فى مطلع التسعينيات رابطة التربية الحديثة، القاهرة، ١٩٩٤ .

٢٢– موقع التنمية الثقافية من التنمية الاجتماعية، المؤتمر العالمى للتنمية الاجتماعية، الأمم المتحدة، ١٩٩٤ .

٢٣– التنمية البشرية، المفهوم والمكونات (مصر– تقرير التنمية البشرية، ١٩٩٤) ، معهد التخطيط القومى، القاهرة.

٢٤– مصر– تقرير التنمية البشرية ١٩٩٤– مشارك فى وضع التقرير – معهد التخطيط القومى، القاهرة.

٢٥- علاقة مصر بالدول الإفريقية فى العصور الوسطى، مكتبة الدار العربية للكتاب ، ١٩٩٥ رسالة ماجستير.

٢٦- دراسات فى التربية والثقافة: من همومنا التربوية والثقافية ، جـ١ ، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥ .

٢٧- دراسات فى التربية والثقافة: من مشكلات العملية التعليمية، جـ٢، مكتبة الدارس العربية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥ .

٢٨- دراسات فى التربية والثقافة: فى التوظيف الاجتماعى للتعليم، جـ٣، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥ .

٢٩- دراسات فى التربية والثقافة: الجامعة بين الرسالة والمؤسسة، جـ٤، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة ، ١٩٩٥ .

(جـ) مراجعة لترجمات إلى اللغة العربية:

منها الكتب التالية من سلسلة الألف كتاب التى كانت تصدرها الإدارة العامة للثقافة – وزارة التعليم العالى :

١- التعليم: بحث تمهيدى، تأليف لستر سميث، ترجمة رمزى مفتاح، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٦٣ .

٢- الحضين والطفل فى ثقافة اليوم، تأليف أرنولد جزل، ترجمة عبد العزيز جاويد، دار الكرنك للنشر، ١٩٦٤ .

٣- التغير الاجتماعى والتنمية الاقتصادية ، تأليف لجنة من خبراء اليونسكو، ترجمة محمود فتحى عمر، مؤسسة سجل الكتاب، ١٩٦٧ .

(د) تقديم علمى لبعض الدراسات التربوية:

١- طلعت عبد الحميد، صناعة القهر ، دراسة فى التعليم والضبط الاجتماعى، دار سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٠

٢- عبد السميع سيد أحمد، دراسات فى اجتماع التربية - دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢ .

٣- شبل بدران: صناعة العقل - كتاب الأهالى رقم ٤٤ لسنة ١٩٩٣ .

(هـ) مقـالات:

هناك العديد من المقالات فى المجالات العلمية والصحف القومية والحزبية حول العديد من المشكلات التعليمية والقضايات التربوية والاجتماعية والثقافية، وكثير من هذه المقالات ضمنها أستاذنا الدكتور حامد عمار أصداءه التى ظهرت تحت عنوان "دراسات فى التربية والثقافة" بأجزائها الأربعة والسابق الإشارة إليها فى قائمة البحوث والدراسات.

مـــــلاحق

(تغطيها بعض المقالات التى كتبناها فى مناسبات متعددة لأستاذنا حامد عمار)

أولا: حامد عمار بين الفقر والمصادفة إلى حرم الجامعة(*) :

فى عيد ميلاده الخامس والثمانين، أصدر شيخ التربويين، أستاذنا الدكتور حامد عمار سيرته الذاتية (عن الدار المصرية اللبنانية) تحت عنوان "خطى اجتزناها بين الفقر والمصادفة، إلى حرم الجامعة"، وبمجرد صدورها نالت اهتمام كبار المثقفين والمحللين والمفكرين، لرصد هذه الخطى، وما تنطوى عليه من دروس وعبر . ولم لا وهو الذى استطاع من خلال الظروف القاهرة المحبطة التى عاشها، أن يحتل المكانة السامقة الرفيعة، ويكون - وبحق- السند الثقة ، والمرجع الرصين لكل التربويين ، بل وأحد المفكرين الاجتماعيين القلائل فى المنطقة العربية، لما يتميز به من الرؤى العلمية العميقة ، والخصال الفريدة : علمًا وتفكيراً، منهجًا وتحليلاً، عمقًا واتساعًا، اخلاصًا وعطاءً، طهراً ونقاءً، شفافيةً وصفاءً، ولاءً وانتماءً، موقفًا والتزامًا، فله فى كل هذه الخصال - وفى غيرها مما يصعب حصره - الباع الطويل، والنصيب الأوفر، وهذا ما يمكن أن يلحظه بسهولة كل من يلتقى به، أو يتعرف عليه، أو يحاوره، أو يطالع مؤلفاته.

وجاءت سيرته الذاتية صادقة التعبير عن كل هذه الخصال من خلال الأربع والعشرين حكاية التى تغطيها، ابتداء من الطفولة فى قرية "سلوا"، هناك فى أقاصى الصعيد، والتى وجدت مكانها فى قلبه ووجدانه ومشاعره، فخلدها من خلال أطروحته للدكتوراه التى حصل عليها فى أوائل خمسينيات القرن الماضى من جامعة لندن،

وتُرجمت إلى العديد من اللغات الأجنبية، وهى القرية التى كانت على الرغم من فقرها وجدبها وانعزالها عن المعمور المصرى، مصدر إلهامه وتكوين مداركه ومعارفه، ومرورا بالمصادفات فى تعليمه الثانوى والجامعى، ومن بعدُ معلما مربيا، وتلك النقلات الحضارية الكبرى فى حياته، واحتلاله أرقى المناصب فى ردهات الأمم المتحدة، ومن بعد حصوله على جائزة الدولة التقديرية والعديد من الجوائز فى البلدان العربية، ناهيك عن عشرات المؤلفات والبحوث والدراسات، والتجارب والخبرات، ومن قبلُ ومن بعدُ احتلالُه المكانة اللائقة والحب الجارف فى قلوب تلاميذه ومريديه.

إن من يطالع رحلته الطويلة – مدَّ الله فى عمره ومتعه الصحة والعافية – يجد صفة الولاء والانتماء هى المهيمنة المسيطرة، ولاء لمصريته، حيث جعل منها ومن همومها ومشكلاتها محور تفكيره ودراساته، والولاء لعروبته حيث يراهاحضارة وثقافة، لسانا ووجده، واقعية محركة، وغاية تُبتغى، ساعيا إلى تأصيلها، مؤكدا أنها المحيط الطبيعى للحركة المصرية، لا تكتمل إلا به، ولا فاعلية له إلا بها.

والولاء لأستاذيته، حيث جعلها طاقة نور يهرع إليها كل من يود الاستفادة والاستزادة، ونبعا يفيض علما، وقلبا يتسع لكل مريد جاد، والولاء لتلاميذه، حيث جعل من التلمذة شوقا ذاتياً وسعياً من طالب المعرفة، وهو البار بمحافل العلم، فهو الموجود دائما، وأول الحاضرين، وآخر المنصرفين، وأول المستمعين، وآخر المتحدثين. وهو فى كل هذا يستهدى بشراع أفق قيمى متسق متناسق، تتدفق فى عروقه حيوية الصحة والسلامة والسوية، وبعقل صافٍ مدرب على توليد الأفكار الناضجة الناقدة. وغيره مما

(*) مقال منشور بجريدة القاهرة ، بتاريخ ٢٠٠٦/٧/١٨ .

يعطى سيرته الذاتية طعما ومذاقا خاصا، وانجذابا لقراءتها، واستخلاص الدرس والعبرة. متعه الله بالصحة والعافية، دعاء من تلميذ مريد لأستاذ رائد... وكفى.

ثانيا: حامد عمار فى عيد ميلاده الخامس والثمانين(*):

نحتفل هذه الأيام بعيد الميلاد الخامس والثمانين لشيخ التربويين، أستاذنا الدكتور حامد عمار، متعه الله بالصحة والعافية، ولن نطيل فى الحديث، فقد بات الاستاذ ملء السمع والبصر، ولن يضيف الحديث عنه شيئا، وإن كان يشكل وفقط باقة ورد نهديها للأستاذ العالم والمربى فى عيد ميلاده السعيد.

فى قرية "سلوا" ولد أستاذنا فى عام ١٩٢١- إحدى قرى محافظة أسوان - والتى كانت نسيًا منسيًا لولا أن خلدها الاستاذ، حيث جعل من تربية الطفل فيها موضوعا لرسالته للدكتوراه التى حصل عليها من لندن، وتم ترجمتها إلى اللغات الأجنبية التى كانت نقطة بداية تشكيل تكوينه الثقافى ونقلاته الحضارية من سوهاج ثم القاهرة، ومن بعدُ لندن منذ أوائل عشرينيات حتى أوائل خمسينيات القرن الماضى، ولقد تفاعلت هذه النقلات مع ما استجد من خبرات وتموجات الحياة، وما بها من مد وجزر حتى وصلت بالأستاذ إلى أعلى الدرجات العلمية وأستاذا جامعيا، والعمل فى المؤسسات الدولية، وخبيرا بالمركز الدولى لتنمية المجتمع بسرس الليان ، وعضوا بمجلس إدارة معهد الأمم المتحدة لبحوث التنمية الاجتماعية ومستشارا لها فى العديد من المواقع، مع عشرات الوظائف الأخرى الرفيعة ، وفيها كان العطاء والرؤية العلمية العميقة والخصال الفريدة، علماً وتفكيراً، منهجًا وتحليلاً، عمقًا واتساعًا، طهراً ونقاءً، ولاءً وانتماءً، موقفًا والتزامًا، وغيرها من الخصال التى يصعب حصرها، وكانت بمثابة المسوغات للحصول على جائزة الدولة التقديرية، والعديد من الجوائز من خارج مصر، ومن قبل ومن بعد مكانته المتميزة فى قلوب تلاميذه ومريديه فى مختلف الأقطار العربية.

ولعل من أهم ما يختص به أستاذنا ويتميز منهجيته الفكرية الفقرية المتمحورة حول الواقع الاجتماعي، واتخاذه المرتكز الأساسي لكل التحليلات والتفسيرات، مع الالتزام بالخط القومي والعروبي والإنساني، والخبرة العميقة بالتاريخ، والوعي الصحيح بالحاضر، والاستشراف الصادق للمستقبل.

كما يتميز بتبنِّيه المنهج الكيفي في البحث الاجتماعي والتربوي، وسبر أغوار ما وراء الظواهر والأحداث، ونقد الكثير من المسلَّمات والمفاهيم التي تسيطر على تفكيرنا التربوي.

ولقد احتلَّت قضايا التنمية البشرية والمرأة العربية والمنظومة التعليمية الجزء الأكبر من اهتمامات الأستاذ في بحوثه ودراساته ومقالاته ومحصلة عمق خبراته واتساع رؤيته في هذه الميادين. ولِمَ لا وهو صاحب مقولة "بناء البشر أهم من بناء الحجر" ؟ لهذا كان الانسان العربي وإعادة بنائه، شغله الشاغل ابتداء من كتابه "في بناء البشر" (١٩٦٣) وحتى اللحظة التي يعيشها الآن.

ولقد حرص أستاذنا على أن يضمِّن كل هذا سيرته الذاتية التي أصدرها هذا العام بمناسبة احتفاله بعيد ميلاده الخامس والثمانين تحت عنوان "خطى اجتزناها بين الفقر والمصادفة إلى حرم الجامعة"، والتي جاءت معبِّرة بدقة عن مسيرته ورحلته الطويلة، ومليئة بالدروس والعبر، ومنها نخلص إلى الحقيقة الساطعة ، وهي أنه النموذج والقوة.

وفي الختام معذرة أن يغلب على هذه الكلمات المشاعر الذاتية، مما قد يُعَدّ خروجا على المألوف العلمي ، في موقف يفرض الالتزام به عدم الخروج عليه، ولكن قد يشفع لنا أننا نتعامل مع شخصية تحولت لديه الذاتية – لنضجها وعمقها – إلى موضوعية،

(*) مقال منشور بجريدة الأهالي ، بتاريخ ٢٠٠٦/٧/١٩ .

والموضوعية –لتفردها وتشبعها بروح الاستاذ – إلى ذاتية، وبات كلامه العادى علماً، وعلمه كلاما عاديا، وهذه نعمة من نعم الله يختص بها بعضاً من عباده ممن أوتوا العلم والحكمة، ولا نملك سوى الدعاء بدوام الصحة والعافية للأستاذ الرائد من تلميذ مريد.

ثالثا: حامد عمار، وخطى مشاها على طريق من الأشواك والأشواق، دروس وعبر (*):

فى عيد ميلاده الخامس والثمانين أصدر شيخ التربويين أستاذنا الدكتور حامد عمار سيرته الذاتية الخصبة الثرية، تحت عنوان "خطى اجتزناها.. بين الفقر والمصادفة إلى حرم الجامعة ، وفيها يتناول رحلته الطويلة بطول عمره – متعه الله بالصحة والعافية – وما تخللها من المعاناة والمصادفات المذهلة التى غيرت مجرى حياته، إلى أن وصل الدرجة الرفيعة السامقة، ليس فقط مكانة، بل علمًا وعطاءً وحبًا من كل تلاميذه ومريديه.

وأستأذن القارئ الكريم أن أمهد لتقديم هذه السيرة العطرة، بأننا قمنا فى عام ١٩٩٦ بإعداد دراسة تحت عنوان "حامد عمار.. مفكرا مبدعا" تناولنا فيها حياة الأستاذ ابتداء من قرية "سلوا" مسقط الرأس، ومرورا بالنقلات التعليمية والعلمية والحضارية، وانتهاء بما هو عليه الآن من تميز وعطاء منقطع النظير على الرغم من ظروف وعوامل الشيخوخة، وتناولنا فيها منهجه الفكرى واهتماماته، ومؤلفاته العلمية وإنتاجه الغزير. وفى عام ١٩٩٨ وفى عيد ميلاده السابع والسبعين كتبنا عنه مقالا تم نشره فى الأهرام. وهذا يعنى أن لدينا قدرا معقولا من المعرفة بحياة الأستاذ ورحلته الطويلة . لكن عندما قرأت سيرته الذاتية أثارت فى النفس عشرات التساؤلات والمشاعر والأحاسيس التى تنطلق من تلميذ "مريد" تجاه أستاذ "رائد" بكل ما فى الوصفين من

(*) مقال منشور بجريدة الأهالى ، بتاريخ ٢٠٠٦/٧/١٩ .

معان ودلالات يطول شرحها، بل ويصعب وصفها.

ففي هذه السيرة يضع أستاذنا لنفسه منهجية تكشف عن إبداعه وتميزه الفكري، حيث جعلها - كما يقول في المقدمة - فاتحة الشهية ، ضفيرة مؤلَّفة من خصلة رئيسية متمثلة في مراحل النقلة تكيفا وتكييفا من محيط قرية بدائية في صعيد مصر، تكاد تكون (عند ولادته عام ١٩٢١) منعزلة عن العالم، وممتدة إلى أن دخل الجامعة طالبا، ثم أستاذا بها على الصعيد الوطني، ومستشارا للأمم المتحدة على الصعيد الدولي، وحول الضفيرة الرئيسة تلتف شعيرات تراكمت عبر الزمن من الخبرات والمشاعر والشخصيات والصعاب والعقبات وآفاق النجاح والإحباط، وما تخللها من عوامل الفقر وضيق ذات اليد وطوالع الحظ والمصادفات ، من يأس يعقبه فرج، ومن أحداث مفاجئة تنغلق فيها الأبواب لتنفتح بعدها بأسباب مفاجئة، غير متوقَّعة، ويحيط بها في جميع الحالات كرم المولى سبحانه، ورضى الوالدين ودعواتهما.

ولم يشأ الأستاذ أن يلجأ في عرض سيرته إلى "التواضع المفتعل" أو إظهار العصبية والبطولات الشخصية الزائفة التي تسيء إلى صاحبها، بل وتأتي بعكس المستهدف منها، وهذا ما تنفر منه طبيعة وشخصية أستاذنا الذي يُهدي سيرته أمَّه التي ضحَّت بنفيس مصوغاتها، ووالده الذي باع قراريطه ليمسك القلم ويعلمه ما لم يكن يعلم من حروف حافزات للهمم نحو كل الخيرات والقِسَم ، ويرى في قرية "سلوا" مسقط الرأس البداية الحقيقية لتشكيل معارفه وتفتُّح مداركه واكتساب العديد من الخبرات، بل ووجدت هذه القرية البائسة التي كانت تعاني الفقر والقهر مكانها المتميز في قلبه ووجدانه، وذلك عندما اتخذ من تربية الطفل فيها موضوعا لرسالته للدكتوراه والتي تُرجمت إلى اللغات الأجنبية.

وهذا هو الدرس الأول في هذه السيرة العطرة، التي جاءت مصوغة بأسلوب جذاب ممتع، والفكاهة المحببة إلى النفس، وتتجمع فيه سمات الأسلوب السهل الممتنع، الذي لا يقدر عليه إلا من أوتي صفاء الذهن وعمق الإحاطة بالفكرة ودلالة الحديث

والانتقاء الجيد للمواقف الكاشفة عن صاحب السيرة وما فيها من الدروس والعبر ، فجاءت فى قالب محكم متقن لا يتسع إلا لها ولا توضع إلا فيه، ومن ثم تفردت هذه السيرة وتميزت وجاءت صادقة شفافة فيها التواضع مع الرفعة وفيها احترام الذات عند الحديث عن الخصوصيات، والاعتراف والتقدير لذوى الفضل والبِرّ بالأهل والعشيرة، كما يلمس القارئ فيها عفة اللسان عند الحديث عن الآخر مسيئا كان أم محسنًا، واحترام قدر الكبار وتجاوز سلوكيات الصغار ، حتى من وُضعوا على الطريق الأشواك لم ينالوا من كلمته سوى الدعاء بالمغفرة.

أما المحتوى ومضمون السيرة فتجد فيه عشرات الدروس والعبر فى كيفية التغلب على الفقر والمعاناة، بالعلم والتفوق، وتوظيف العديد من المصادفات فى الانطلاق إلى الأمام بخطى واثقة، والكشف عن عمليات التكوين الثقافى والعطاء العلمى والمنهج الفكرى والاهتمام بالواقع للارتقاء به، وتناول عشرات القضايا التى كانت محور اهتمامه خصوصاً فى مجال التنمية البشرية وبناء البشر، كما كان للمرأة العربية نصيبها بالإضافة إلى عشرات المؤلفات والبحوث والدراسات والمؤتمرات والندوات والمشاركة فى كل عمليات التطوير، بل واعتباره المرجع والسند فى كل عمل تربوى أو تطويرى، وغيرها مما وضعه محل التكريم والتقدير من الجهات والمؤسسات كافة فى مصر والبلدان العربية، ولِمَ لا وقد شرفت جائزة الدولة التقديرية بفوز صاحب السيرة بها؟ وإن كانت الجائزة الأحب إلى قلبه هى حب التلاميذ والمريدين على امتداد الوطن العربى ممن تشبعوا بأفكاره، ويسيرون على دربه ونهجه ويترسمون خطاه، مد الله فى عمره ومتعه بالصحة والعافية.

وختامه مسك، فبهذا المقال ينتهى ما استطعنا القيام به فى هذا الكتاب ، ونأمل أن يفى بالغرض منه.

حامد عمار وسيرته الذاتية

"خطى اجتزناها بين الفقر والمصادفة إلى حرم الجامعة :

سيره ذاتية"

رؤية للتجديد فى مجال التعليم والتعلم

د. نادية جمال الدين

ملخص ومقدمة تفسيرية :

تأتى هذه الأوراق المقدمة فى لقاء طابعه الاحتفاء بحامد عمار وتكريمه والذى تقيمه شعبة التربية بالمجلس الأعلى للثقافة محاولة أن تنطلق من السيرة الذاتية التى كتبها صاحبها إلى الآفاق الرحبة للعلوم التربوية، حيث تهدف إلى بيان ما يمكن أن نستفيده من هذه السيرة الذاتية وأهميته فى مجال التعليم والتعلم.

فالدعوة هنا أن نتوقف لا للإشادة بالسيرة الذاتية لأستاذ أثبت بالفعل نبوغه وشموخه بين أقرانه ، بل الدعوة تنطلق لبيان ما يمكن أن نستفيده من السيرة الذاتية نفسها للتأكيد على أهميتها فى مجال البحوث التربوية والإضافة إلى الميادين التربوية المختلفة المرتبطة بالجوانب العلمية والثقافية التى تؤكد على الدروس المستفادة من قراءة هذه السيرة.

وهنا محاولة للاحتفاء بسيرة حامد عمار من زاوية أرجوها مفيدة حيث تتناولها من حيث أهميتها كوسيلة للتعليم والتعلم الذاتى. فالعلم يتجه الآن إلى الأسلوب السردى ، والذى يتبعه صاحب السيرة فى تعليم الكبار والصغار أيضا وهو ما لم نتحدث عنه بالتفصيل حيث الموقف موقف تكريم ، وإذا كان الأمر كذلك فما نريد التأكيد عليه هنا أن حامد عمار فى سرده لسيرته الذاتية إنما كان معلما بطريقته كما هو فى مهنته أيضا معلما شامخا. فقد كان الأستاذ يعلم الأجيال الحاضرة والتالية من خلال خبراته المسجلة.

وهنا أيضا محاولة للدعوة إلى الاهتمام السيرة الذاتية واستخدامها فى المؤسسات التعليمية وفى برامج التعليم المستمر مدى الحياة، وبهذا نؤكد على الدور الذى يضطلع به حامد عمار حين اهتم بالتنمية والمجتمع وعمل فى سرس الليان من أجل محو الأمية وتعليم الكبار ، واستمر فى هذا بإخراج سيرته الذاتية يقدم النموذج لطريقة متجددة للتعليم والتعلم فى مجالات التعلم غير النظامى على الخصوص أو ما يدخل الآن فى التعليم المطلوب عالميًا من المهد إلى اللحد، وكأنى أقول هنا إن هذا

التيار العالمى السائد إنما هو بضاعتنا رُدَّت إلينا وأن لنا أن نؤكد على الإفادة منها واستثمارها ، هذا بالإضافة إلى أن كتاب حامد عمار والذى يتضمن سيرته الذاتية يمكن أن يُعتمد عليه كمرجع من المراجع الأساسية للتأريخ للفترة التى عاشاها من زاوية تربوية.

وبعد فقد تم الإبحار عبر الشبكة العالمية من خلال المحرك Google وكانت أهم الكلمات المفتاحية:

Lifelong Learning - Narrative - Life story research,

Biographical approach, Qualitative study.

الإبحار مع حامد عمار وسيرته الذاتية:

الحق أقول لكم... إن تكريم حامد عمار بمناسبة مرور ٥٠ عامًا على اشتغاله بالتربية فرصة سانحة لى لأتحدث معكم وإليكم عن كتابه الذى يحوى بين دفتيه سيرته الذاتية بقلمه وعنوانه كما تعلمون: "خطى اجتزناها بين الفقر والمصادفة إلى حرم الجامعة . سيرة ذاتية" والصادر هذا العام (٢٠٠٦)، وكأنه يتوج به نصف القرن الذى عمل فيه تربويا متميزا بنفحة من سيرته الذاتية فى إطار دعوة بأن نتعلم لنكون.

وحديثى عن كتاب حامد عمار لن يتناول محتواه بكل عبقه ورحيقه، أحداثه وحوادثه، رأيه ورؤيته، معاندة الظروف وانبساطها، من قابلوه أو رافقوه ... كل هذا وغيره سرده بقلم رشيق، وتعبير رقراق أنيق. ولكن يأتى الحديث عن الكتاب هنا باعتباره إحدى الاستراتيجيات المستخدمة فى مجال التعلم الذاتى والتعليم المستمر مدى الحياة، وكذلك، وكما هو الحال هنا، فى مجال التنمية المهنية للمعلمين بخاصة، ذلك أن سيرة الحياة الذاتية بكل ما فيها من خصوصية، حين تصبح منشورة وعلانية تتحول إلى طريقة مثمرة ومفيدة للتعلم مدى الحياة.

ومن زاوية أخرى فإن الاتجاه إلى البحث فى السيرة الذاتية سواء أكانت مكتوبة أم شفاهية تُعتبر أيضًا طريقة من طرق البحث الكيفى فى التربية، من وجهة النظر هنا، حتى أن البعض يرى هذا كله الآن على أنه "ثورة" أو كما هو التعبير باللغة الإنجليزية: Narrative Revolution ولهذا، ولأسباب أخرى كثيرة، كان احتفائى بالكتاب، ورغبتى فى أن أتدبر محتواه ومعانيه لأشرح شيئا مما يدور فى عقلى وكأنى أحاول رد جميل له فى عنقى ، فقد تعلمت على يديه فى الدبلومة العامة والخاصة فى التربية، وأقر خطة رسالتى للماجستير حين لجأت إليه متسائلة، وأسمعنى حينها ما جعل روحى تحلق فى آفاق رحبة وكأنها تتهادى فوق السحاب حين عز التشجيع والمساندة... إن الأستاذ فى زحمة الأعداد من حوله والمشاغل قد ينسى ما قاله ، أما المريد فإنه أبدا لا ينسى ما سمعه من أستاذه مهما طالت السنوات.

✓ **الكتاب من حيث هو إحدى استراتيجيات التعلم وبعض دلالات المفهوم:**

وهذا الكتاب الذى نتوقف أمامه هنا ليس أول كتاب لصاحبه، وإن شاء الله ليس آخرها، ولكنه يتميز بأنه يحمل بين دفتيه سيرته الذاتية، ويشير فيها دون مواربة إلى بدايات الخطى التى كانت مواجهة جادة للفقر الذى كان سمة تجمع بين أبناء مصر المحروسة، فالأم تبيع المصوغات والأب يضحى بقراريط الأرض ... هكذا جاء فى الإهداء، من أجل تعليم فلذة الكبد، ومن ثم فهو يحاول أن يدفع ما قد يتبادر إلى نفسه أولا – قبل القارئ – من شعور بالاستعلاء أو الغرور بما حققه، وهنا يلجأ إلى الحديث عن المصادفة فى حياته، أو ما يريد أن يراه مصادفة، واضعًا إياه فى العنوان، والذى أدّى به إلى الاستمرار فى الخطوات واجتياز المرحلة تلو المرحلة حتى يصل إلى الجامعة ليظل بها أستاذا يعلم غيره ويبحث فيها ومع من فيها من أجل مجتمعه لينطلق منها إلى العالم الواسع باحثا مجتهدا فى المنظمات الدولية وفى مجال الدراسات التنموية من جوانبها المتعلقة بالتعليم ، أو – كما قال هو – ببناء البشر الذين هم عماد المجتمع ، أى مجتمع ، وأيضا الهدف من التنمية وليس وسيلتها فقط، وليعود بعد هذه الرحلة خارجها إلى الجامعة ثم إلى المجتمع الواسع بمؤتمراته ولقاءاته، وكتاباته المنشورة فى وسائل النشر المختلفة بصورة، أقل ما يقال عنها أنها تدعو للإعجاب.

أقول إن وضع المصادفة فى العنوان محاولة للتأكيد على الرغبة الجادة فى مقاومة النفس الأمارة بالغرور... إنه يريد أن يقول : لقد كنت محظوظا ، فالمصادفة منحتنى الفرص وأتاحت لى الكثير. ولكن هنا على القارئ الفطن أن يتوقف ليسأل ... هل تستمر المصادفة وتتوالى عبر سنوات العمر المديد؟ وهل يطرق الحظ أبواب من لا يستطيع الإمساك والاحتفاء به أول مرة واستثمار هذه المصادفة الأولى – أو مهما كان عددها – فى إرادة وإصرار وعناد لاجتياز العقبات كافة دون هوادة وليس تخطى حاجز الفقر العمومى فقط؟ حقا، وأكرر، إن المصادفة قد تأتى مرة أو حتى مرات لمن كان محظوظا ، ولكن هل تستمر مدى العمر؟ هنا لا بد وأن أترك للقارئ الحصيف الإجابة وتدبر الإجابة أيضا.

هل هى مصادفة أن ينتهى بى المقام هنا إلى أن ألاحظ أن عنوان الكتاب "خطى اجتزناها" وليس "طويناها" أو حتى "كُتبت علينا" قد يكون هذا مصادفة بالنسبة إلىَّ ، نعم، ولكن الذى اجتاز إنما اجتازه بتوفيق من الله حقا، ولكن أيضا بإصرار ذكى وحرص على استثمار الفرص المتاحة آناء الليل وأطراف النهار... فهذه الانعكاسات الفكرية من قصة الحياة التى تعكس الممارسات الناجحة أو العقبات القاسية وكيفية مواجهتها فى إصرار على النجاح أو ذكرها مع مرارة الانكسار، هنا عودة الذات إلى الماضى مع سرد التطور عبر الزمن للتفاعل مع الواقع والأحداث والأشخاص... ثم بعد هذا نجد رؤية واضحة للنتائج... وإذا كان هذا كله خبرة شخصية أو تجربة إنسانية ذاتية فإن الذى نؤكده هنا أن عملية التعلم أيضا عملية ذاتية. والحياة الشخصية هذه إنما تعتمد على الذاتية فى إطارٍ حياتىٍّ بكل تعقيداته، وفى مجال مجتمعى بكل ما فيه، عبر مرحلة زمنية لها ملامحها، وهذا كله، ومرة أخرى، جعل من قصة الحياة درساً وتجربة سردية يستفيد منها الكبير المتعلم، ويكتسب المتأمل لها والمتفاعل معها فى أثناء قراءتها أو سماعها أن يسهم فى إثراء تجربته الذاتية وحياته المهنية بالضرورة وذلك حين تكون القراءة هادفة. إن شجاعة السرد لملامح القوة والضعف الإنسانى، بكل ما تحمل من تفصيلات وظلال ، تكتمل بإخراج الكتاب إلى العلن والذى يُعتبر فى حد ذاته بمثابة الطوق يلقيه حامد عمار (الكاتب) لمن يتوق إلى تلقِّيه والإفادة منه ليتأسى به، ويشتاق كى يكون مثله مثابرا مستفيدا من الخبرة السابقة مقاوما لما قد يعترض طريقه فى التعلم أو العمل من صعوبات أو عقبات أو تتطلب تضحيات بأشياء عزيزة . ولم لا؟ فقد فعلها من خطوا قبله على طريق التعلم... ومن قبله أستاذه حامد عمار.

ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن السيرة الذاتية تُعتبر مدخلاً من مداخل تعليم الآخر وإحدى استراتيجيات التعلم المستمر والتى يمكن أيضا أن تكون علامة من علامات النقلة من تعليم الكبار إلى التعلم المستمر مدى الحياة فى مجتمع المعرفة الذى نرجوه وعالم ما بعد الحداثة الذى نأمل اللحاق به وإحدى وسائله – كما هو مشهور الآن – العلم والبحث العلمى والتعليم.

ما أريد التأكيد عليه، حتى لو جاء مكرراً، هو أن كتابة السيرة الذاتية إنما يقوم الكاتب فيها بسرد أحداث ووقائع لها أبعادها التى توضح ثقافته وتعكس غنى تجربته وتعدد جوانبها. ومن هذا المنظور أيضا فإن السرد هنا لا يتم بصورة عشوائية مطلقة وإنما يقوم صاحب السيرة ، سواء أكان يسردها مكتوبة أم شفاهية، بوضع القارئ أو السامع لها فى اعتباره، ومن ثم فهو بما سرده من خبرات ووقائع إنما يعرض رؤيته لذاته فى ضوء ثقافة مجتمعه وزمانه والقراء لسيرته والذين يكتب من أجلهم ليقدم لنا صورة لتجربة حياة إنسان متخصص فى مجال بعينه من مجالات الدراسات الإنسانية أو العلوم الاجتماعية أو التربية هنا بكلمة أدق. وما كتبه حامد عمار فى سيرته الذاتية إنما كتبه فى ضوء المعانى التى تدور فى ذهنه لخبراته هو وعلاقته الذاتية المتشابكة مع الآخر والمشتبكة معه، وبالتالى يقدم درسا غير موجَّه بصورة مباشرة إلى القارئ، أىّ قارئ، يتعلم منه بطريقة غير مباشرة أيضا ، أو يجوز أن تكون مباشرة.

فالهدف من السرد إذن، وكما هو الرأى هنا، ليس تتبع الحقائق أو التعريف بأحداث ووقائع معينة من قبيل التأريخ أو التسجيل لها ، بقدر ما هو تتبع للمعانى والنتائج التى جعلت الشخصية أو الذات القاصَّة فى هذا الوضع الذى عرفناه عليه ونعرفه به الآن، أو على تلك الحال التى يعجب بها المتلقى وتدفعه لقراءة الكتاب وتأمل محتواه وتدبره بصورة شخصية ذاتية. فالقارئ لا يقرأ الكتاب أو النص المكتوب فقط، وإنما أيضاً نص الكتاب يقرأ القارئ فى عملية تبادلية لا شعورية وشعورية أيضا ، أو هكذا أتصور. ومن هذا المنظور فقصة الحياة أو السيرة الذاتية لا يكون السرد فيها من أجل الاستعراض للأحداث والمقادير التى ألمت بالشخص صاحب السيرة ذاتها ومَن حوله، إنما هى وسيلة سيكولوجية تمكِّن المتلقى من استكشاف شخصية القاصِّ واستخراج الكثير من الملامح المميزة لها والتى يمكن تتبُّع خط نموِّها وما أضافته إلى المجال الذى يعمل به، والتى هى فى حالتنا الحقل التربوى، مما يمكِّن الأجيال المعاصرة، والتالية أيضا، من تكوين صورة عن الأجيال العاملة فى حقل التخصص ، أو المؤثرة فى الحياة العامة، وكيف تَكَوَّنَ كل جيل، وما السمات التى ميزت جيله وجعلته يتفرد أو يتميز بما تميز به دون غيره من الأجيال...

واستمراراً لهذافإن الأمر لا يقتصر على المتلقى وحدة، بل إن حامد عمار وهو فى الخامسة والثمانين من عمره المديد إن شاء الله يوضح لنا بما يذكره كيف يقرأ هو نفسه... كيف يتناول ويتقبل كفاحه وصموده، وانكساره وانتصاره عبر السنوات الفائتة، وأحزانه وأفراحه، وكيف يتقبل النتائج التى وصل إليها، وهو حقا يختار من تجاربه الماضية – مهما كان تجرده وصدقه– ما يقوم هو نفسه بإعادة صياغته فى ضوء ما انتهى إليه حاليا، إذ أصبح يمكنه قراءة وتفسير الماضى بصورة أكثر وضوحا، وهذا الاستبصار يدفعه إلى المزيد من اتخاذ الخطوات الجادة على طريق العمل المستمر والأمل فى تجديد الذات. فالمتلقى والكاتب معا يستفيدان كلٌ من زاوية مختلفة وإن اشتركت فى الذاتية.

ولعل ما أذكره هنا من أن سرد السيرة الذاتية قد يدفع بكاتبها إلى إعادة اكتشاف الذات ووصفها فى إطار الزمن الذى تقيس فيه والخبرة التى حققتها... وهو ما يُعتبر مراجعة للذات وتجديداً لها فى ذات الوقت. ولعل القارئ الملاحظ لإنتاج حامد عمار لا فى السنوات الأخيرة بل الشهور الأخيرة أيضًا من غزارة وتوهج فى الفكر ينضح على صفحات عشرات الجرائد اليومية والدوريات ومقدمات الكتب، شارحا، عارضا ومعارضا، ومؤكدا وموضحا لجوانب مختلفة مما يموج به واقعنا المحلى والعربى والعالمى... يبتعد عن دائرة التربية والتعليم حينًا، متناولا لأحداث فلسطين والعراق ولبنان ، كاشفا، ما استطاع، لما تقوم به القوة المنفردة بالعالم الآن، ليعود من هذا كله إلى الواقع التربوى مناقشا لما يعرض من مقترحات بشأن التعليم الجامعى مدافعا فى إصرار مستميت عن حق الجميع فى التعليم الجيد وخصوصًا ما يخص الفقراء ، ألا وهو المجانية. الحق أقول لكم... إن قراءتى لسيرة حامد عمار وكتابته فى الصحف والدوريات المصرية على تنوعها، وخاصة خلال الشهور الماضية والتى تلَتْ ظهور سيرته الذاتية جعلتنى أرى العلاقة بين عنوان كتابه والحاضر وما يدور فيه من قضايا تربوية يكاد فقر الفكر الحالى بشأن المجتمع المصرى وما يموج به من خطوب ومواجع يقود به إلى ما لا نحبه ونرضاه، كما أن الفقر المادى يحول بين كثير من أبناء الوطن والالتحاق بالتعليم أو حتى الاستمرار فيه.

✓ السيرة الذاتية والبحوث الكيفية : محاولة للاستكشاف والتأصيل:

وما دام الحديث يدور هنا عن أحد أساطين العلوم الاجتماعية فى مصر، فإن أساليب البحث فى العلوم الاجتماعية أيضا فى حاجة ماسة إلى أن نعيد النظر فيها والاستفادة من الآراء العديدة فى هذا المجال على أساس ما سبق الإشارة إليه فى الصفحات السابقة، فإذا كان ما يسرده الكاتب فى كتابه يُعتبر سجلاً لحياة حافلة فى فترة معينة زاخرة بالمتغيرات، فإن استقراء ومتابعة هذه الكتابات وإعادة فحصها يمكن أن توضح ملامح تاريخ هذه الفترة أو تؤرخ لظهور ونمو أفكار بعينها كما توضح التطور العلمى لمجالات علمية أو أحداث ووقائع فى حاجة إلى توثيق وتتبع ، وهكذا. إن الخروج من دائرة البحوث الكمية التى أصبحنا محاصَرين بها وبنتائجها يتطلب محاولة جادَّة للبحث عن طرق بديلة تمكِّن من تفجير الطاقات العلمية التى تحتاج إلى شجاعة المغامرة والبحث عن المختلف ، وأقول الإبداع فى الرؤية والمعالجة للظاهرة والأفكار التربوية المتعلقة بالإنسان والمشتبكة مع المجتمع.

وهذا قد يقودنا إليه تأمل ما كتبه حامد عمار منذ البداية أو من الإهداء ذاته، فالتعليم متاح ولكن للقلة القليلة ، والذى يريده لا بد وأن يدفع ثمنه بأشكال متعددة المال أخفها ضراوة، فالتضحيات ما بعدها تضحيات؛ من الأسرة، وصاحب قصة الحياة اغترابٌ من أجل التعليم فى مرحلة مبكرة من العمر حيث لا تتوفر مدارس حيث يعيش الأهل ، وهكذا ، وغيره كثير مما يمكن فهمه والتعويل عليه. وأيضا تنطلق شرارة ثورة، تغير من موازين القوى، يبحث رجالها عن العائدين من البعثات الحكومية إلى الخارج للاستفادة من علمهم والاستعانة بهم فى المؤتمرات العالمية، وهكذا فى مقتبل العمر ومنذ بدايات الطريق المهنى تُفتح له الأبواب لحضور المؤتمرات العالمية والاتصال بالمنظمات الدولية، فأمثال هؤلاء العلماء قلة فى ذلك الوقت، ومن ثَم يتحمل مسئولية وأمانة الحديث عن أحوال الوطن فى المحافل الدولية رغم كل ما واجهه فى رحلة العودة إلى الوطن من عقبات يضعها مسئول فى الطريق ويزللها مسئول آخر أو صديق ، وهكذا من أمور ذكرها صاحب الكتاب فى مواضعها.

أقول إن البحث فى السيرة الذاتية يمكن أيضا أن يقدم نوعا مختلفا من البحوث الكيفية التى لا بد وأن تأخذ طريقها بصورة أكثر وضوحا إلى كليات التربية أملا فى التجديد وخروجا إلى الإبداع المتميز بالذاتية وليس فقط الحديث عن الموضوعية المصطنعة والأرقام التى تتحدث عن الظاهرة فى جداول ينقصها الشرح والتفسير وإيجاد العلاقات مهما كانت جودة الإحصاء ودقته. ولعل خروج هذا الكتاب وغيره يدفع الأبحاث إلى طريق آخر يعتبر مفيدا من الناحية الوظيفية والمهنية العاملين فى التربية والبحث التربوى، فالسيرة الذاتية التى بين أيدينا لأستاذ من أساتذتنا الذين تفخر بهم مصر تسمح لنا باكتشاف المبادئ الأساسية الكامنة وراء نمو شخصية الكاتب وحياته المهنية بالصورة التى هو عليها مما يثرى مجال التنمية المهنية للمعلم على الخصوص.

وأخيرا عليَّ أن اعترف بالفضل المتجدد، حيث حاولت أن أتتبع خطى أستاذى فى حديثه عن البحث فى المجال الاجتماعى، فما زلت لا أنسى وقع قراءتى لكتابة "بعض مفاهيم علم الاجتماع" ومقالته فى الجزء الثانى منه خصوصاً، حيث انتقد فيها ما هو دائر فى البحوث المعتمدة على الإحصاء والنسب المئوية التى تعالج قضايا الإنسان والمجتمع الإنسانى.

وأيضا أشكر زميلتى الواعدة د. نسرين محمد عبد الغنى المدرس بقسم أصول التربية بمعهد الدراسات التربوية حيث كان لحواراتها معى حول أهمية دراسة بحوث السيرة الذاتية والبحث فيها ما ساعد على انبثاق الفكرة مرة أخرى بعد انسحابها من عقلى لما يقرب من الثلاثين عاماً ، فإليها أتوجه بخالص شكرى.

أما المراجع التى رجعت إليها بالإضافة إلى كتاب أستاذنا الدكتور حامد عمار للاستئناس بها فيما أكتبه فقد بدأت مع المحرك Google عملية الإبحار عبر صفحات الشبكة الدولية وكانت الكلمات المفتاحيه التى استخدمتها متعددة كما سبقت الإشارة أهمها:

Life story research,

Biographical approach,

Qualitative study,

المراجعة اللغوية : محمود عبد الرازق
الإشراف الفنى : نسرين كشك





فى هذا الكتاب نجد أنفسنا أمام قيم ورموز لشخصيات تربوية متميزة تستحق الوقوف لها إجلالاً وتقديرًا لما حققوه لحركة التربية فى مصر وفى العالم العربى، فهى شخصيات تمثل ركنًا أصيلاً ومتينًا من تاريخ هذه الحركة وتاريخ مسيرتها .

